الإسراء والمعراج

عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الإسلام

الإسراء والمعراج

منشورات المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من أسرى به الله من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ليريه من آياته الكبرى وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين •

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » •

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا » •

Marfat.com

مقدمة

فى مسجد مولانا الحسين رضى الله عنـــه • فى شهر رجب من سنة ١٣٨٧ هـ ، احتفلت جمهورية مصر العربية عن طريق التليفزيون ـ فى برنامج نور على نور ـ بليلة الاسراء والمعراج ، مشـــاركة بذلك للعالم الاسلامى كله ومعبرة بهذا الوضع عن الأهمية الكبرى التى لهذه الليلة المباركة •

وقد حضر الحفل كثير من كبار السادة المسئولين فى مختلف الوزارات وفى الأزهـــر • وقـــد دعانى المشرفـــون على البرنامج ـ مشكورين ـ للحديث مع من دعى فى تلك الليـــلة المبـــاركة • وانتهزتها فرصة لأقول رأيى بصراحة ، فى نقطة من هذا الموضوع ، حيث أتيح اعلانها فى أوسع دائرة ممكنة من المستمعين فى المسجد ، ومن المشاهدين على الشاشة •

* * *

لقد كان المعراج مناجاة ، ووحيا ، ورؤية :

أكانت المناجاة مع جبريل عليه السلام ، والوحى من جبريل عليه السلام ، والرؤية لجبريل عليه السلام ؟

أم كانت المناجاة مع الله سبحانه وتعالى ، والوحى من الله تعالى ، والرؤية لله تعالى ؟

لقد قلت فى حديثى :

ان محمدا صلى الله عليه وسلم ، وصل الى أفق لم يعد فيه مكان لجبريل ، وارتقى الى مستوى من النور لم يكن لجبريل عليه السلام فيه مجال ، فكان محمد صلى الله عليه وسلم فى الحضرة الالهية ، دون واسطة .

فناجى محمد ، عليه الصلاة والسلام ، ربه عز وجل .

وأوحى اليه ربه ما أوحى .

ورأى محمد ربه .

« ما كذب الفؤاد ما رأى » .

واستندت الى ما جاء فى حديث البخارى :

ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى ، فكان منه قاب قوسين أو أدنى .

وقلت ان محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، فى هذا الأفق كان وحده وكان جبريل عليه السلام فى أفق أقل ، فكانت المناجاة مع الله .

وكان الوحى من الله .

وكانت الرؤية لله تعالى •

ولم يستغرق حـديثى أكثر من ربع ساعة ، قلـت فيها ـ فى لمحات خاطفة ـ كل ما كنت أريد أن أقول : فى الموضوع عامة وفى هذه النقطة خاصة •

ثم نزلت من على المنصة ، وكأننى قد تخفست من حمل ، وكأننى قد برئت من مسئولية •

وظننت أن الأمر قد انتهى ، وأننى قد أسمعت ، وأن الكلمة ستأخذ مجراها ، وأن الله سيفتح لها آذانا ، ويشرح لها صدورا •

* * *

وما ان انقضى الحفل ، حتى التف حولى كثير من ذوى البصائر الرشـيدة ، يرجون أن أكتب فى الموضـوع ، أفصـل ما أجملت وأستفيض فيما كان أشبه بلمحات ، وأوضح هذا الذى وقع من أنفسهم موقع الاستحسان والغرابة فى آن واحد ، من أن محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، وصل الى أفق كان فى الحضرة الالهية وحده دون حجاب •

وعددت هذا منهم مجاملة ، قابلتها بمثلها ، وشكرت لهم حسن ظنهم •

ورجوت من الله التوفيق لى ولهم •

ولكن الحديث عن الموضوع استمر وكثر طلب الناس هنا وهناك للكتابة فى هذا الموضوع فى صورة أوسع وفى زواياه المتعددة .

وحفزنى هذا الى العودة الى الموضوع من جديد .

لقد عدت الى القرآن الكريم وتفسيره فى مختلف التفاسير ، وخصوصا تفسير الامام ابن كثير فى موضوع الاسراء والمعراج ، وكذلك تفسير الامام الألوسى ، وحاشية الامام الصاوى ، والى صحيح الامام البخارى ، وشرح الامام ابن حجر له ، فى مختلف الأمكنة التى تحدث فيها عن الاسراء والمعراج .

والى صحيح الامام مسلم ، وشرح الامام النووى له .

والى الخصائص الكبرى للامام السيوطى .

والى الشفاء للقاضى عياض .

والى كتب السيرة . وخصوصا سيرة ابن هشام وتعليق السهيلى عليها .

ولقد نعمت بفترة من البحث أحمد الله عليها .

* * *

وما من شك فى أننى لم أخترع رأيا ولم أبتدع فكرة ، ولم أجىء بما لم يكن موجودا ، وكل ما فى الموضوع أننى حاولت فى

Marfat.com

هذه النقطة ــ التى كانت مثار سؤال وبحث ــ أن أبرز مناحاول البعض المرور عليها مرورا عابرا ، وأن أظهر مالم يكن البعض يقف عنده ، وأن أعلن عما كان موجزا لا يكاد يبين عنه بعض الكاتبين •

لست اذن بدعا فى الرأى ، ولا مبتدعا فيه •

* * *

على أن هذه النقطة التى كانت مثار بحث ليست أبرز شىء فى هذا الكتاب ، بل انها لم تستغرق منه مكانا كبيرا ، لقد أردت على الخصوص أن أبين أن قصة الاسراء والمعراج انما تمثل :

١ ــ منهج حياة فى العقيدة •

٢ ــ منهج حياة فى الأخلاق •

انها منهج الحياة الروحية فى حياة المسلم •

وهذه النقطة بالذات هى التى استفضت فيها ، والتى أرجو أن أكون قد صاحبنى فيها التوفيق •

* * *

ان بعض المسلمين يحتفلون بهذا الحادث ، على أنه حدث تاريخى مجيد ، ثم يمرون به على أنه معجزة وقعت لسيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فأظهرت ما له من فضل ، وبينت ما له من مكانة ، فاذا ما شرحوها من هذا الجانب : فكأنهم قد أوفوا الموضوع حقه •

وقالوا فيه ما يمكن أن يقال •

ولكن أمر الاسراء والمعراج : أوسع وأعم من أن يكون حدثا تاريخيا ، انقضى وانتهى • وذلك أنه رسم لحياة المسلم وفيه من العظات والعبر مالا يكاد يحيط به الانسان • وسنحاول بتوفيق الله أن نكتب عنه فى هذه الجوانب والزوايا •

والله نرجو أن تمتد لهذا الكتاب الأعين ، وتتفتح له الآذان وأن يشرح الله له الصدور ، وأن يهدى له ، وأن يهدى به ، انه سبحانه قريب مجيب •

وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب •

Marfat.com

الفصل الأول

بين يدى الاسراء والمعراج

بين يدى الاسراء والمعراج

سيدنا رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، معجزة التاريخ وهو المنارة التى يهتدى بها الانسان كلما انبهمت الأمور ، أو ضلت الآراء •

وحياته قبل البعثة كحياته بعدها : عظة وعبرة ، وهداية ومثل أعلى لمن أراد الطريق الأقوم •

ان من يتدبر حياته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، ولا يكون عنده فكرة صحيحة عن النبوة من حيث انها لا تكتسب اكتسابا ، وانما توهب من الله تعالى • يكاد يعتقد أنه اقتنص الوحى اقتناصا واضطره الى النزول اضطرارا وأنه أبى الا أن يظفر بما يريد فكان له ما أراد •

بيد أن الصواب هو أن الله اصطفاه ، وفضله بالنبوة والرسالة على العالمين ، عندما حان الموعد الذى حددته العناية الالهية ، لتتجلى بالهداية عن طريق من اختارته رسولا •

يقول الامام المراغى رحمه الله :

« النبوة هبة لا تنال بالكسب ، لكن حكمة الله وعلمه قاضيان بأن تمنح للمستعد لها : القادر على حمايتها »

« الله أعلم حيث يجعل رسالته »

ومحمد ، صلى الله عليه وسلم ، أعد لأن يحمـــل الرسالة للعالم أجمعه : أحمره وأسوده ، انسه وجنه .

وأعد لأن يحمل رسالة أكمل دين .

ولأن يختم به الأنبياء والرسل ، وليكون شمس الهـــداية وحده الى أن تنفطر السماء ، وتنكدر النجوم ، وتبدل الأرض غير الأرض والسموات (١) اهـ .

أما هذا الاعداد : فقد حاطه الله بعنايته التامة ، انه أعده من ناحية أسرته : أعنى من ناحيـــة الوراثة ، وأعده من ناحية فطرته : أعنى طبيعته الشخصية .

أما من ناحية أسرته ، فهذا جده عبد المطلب كان « سمح الطبع رضى النفس ، سخى اليد ، حلو العشرة ، عذب الحديث » .

وكان عبد المطلب أيضا قوى الايمان ، تملك قلبه ، وتسيطر على نفسه نزعة دينية حادة عنيفة ، ولكنها غامضة ، يحسها ويخضع لها ، ولكنه لا يتبينها ، ولا يستطيع لها فهما ولا تفسيرا .. (٢)

« كان فتى من فتيان قريش ، ولكنه يمتاز عن بقية فتيان قريش :

---

(١) من مقدمة « حياة محمد » للدكتور هيكل .
(٢) انظر كتاب : على « هامش الســيرة » .

Marfat.com

فيه ذكاؤهم وفطنتهم ، وفيه اباؤهم وعزتهم ، ولكن فيه دعة ، لم تكن مألوفة عندهم ، وفيه شدة من الدين ، قلما كانوا يرضونها أو يبسمون لها •

على أن خصلة أخرى ميزته منهم أشد التمييز ، فلم يكن يصدر فى حياته ــ كما كانوا يصــدرون ــ عن الروية والتفكير ، وضوء التدبير ؛ وانما كانت تدفعه الى العمل ، والاضطراب فى الحياة قوة خفية ، يحسها ويأبى عليها ، ويغلو فى الاباء ، ولكنه يضطر الى أن يذعن لها ويصدع بأمرها •

وكانت هذه القوة تصــدر اليه أمرها فى أشكال مختلفة : تدفعه الى العمل حينا وكأنها ارادته الخاصــة ، قد ملكت عليه حســه وشعوره ، فهو لا يستطيع عنها انصرافا ولا يملك لها خلافا •

وتتمثل له حينا آخر شخصا ، واضح المخايل ، بين الصوت ، يلم به اذا اشتمله النوم ، فيأمره أن يأتى كذا وكذا من الأمر •

« وكان فى هذا الصوت غموض ، وكان فى هــذا الصوت ابهام وكان فى هذا الصوت جلال مصدره هذا الغموض والابهام ، وكان الفتى ينكره ، ويرتاع له ، وكان الصوت يغمره ويلح عليه ، وكان الفتى يخاف هذا الصوت ويهواه ، وكان هذا الصوت يتجنب الفتى حتى يؤيسه من نفسه ، ويلم به فيكثر الالمــام • ولم يكن هــذا الصوت يقع فى أذن الفتى بألفاظ كالتى تقع فى آذان الناس انما كان يصطنع ألفاظا خاصة ، غريبة الجرس غريبة المعنى » (١) اهـ •

---

(١) انظر كتاب : على « هامش السيرة » •

Marfat.com

أما والده ــ عبد الله ــ فقد كان صورة طبق الأصل من جده وكان شعاره :

« أما الحرام فالممات دونه »

وتقول له فاطمة الخثعمية :

« انى لأعرف فيك نسك أبيك » •

قبيلته : قريش ، وأسرته : بنو هاشم ، وجـده : عبد المطلب سيد قريش • اذ ذاك ، ووالده عبد الله : فكان هو محمدا •

ولقد اختاره الله للرسالة ، ولكنه ، تعالى : اصطنعه لنفسه ؛ قبـ أن يمنحه النبوة •

أجل ! وهذه الفترة من حياته ، التى سبقت البعثة ، كانت فتـ جهاد وصراع روحى هادىء بكل معنى الهدوء ، عنيف أشد العنف مستمر لا ينقطع ، فيه الحزن ، وفيه الرجاء • وفيه الكثير من الأ الوثاب ، الذى يشحذ العزيمة ويسد على اليأس القانط كل منفذ

ان هذه الفترة من حياته كانت ــ على حد تعبير الجنيد فى تعري التصوف ــ عنوة لا صلح فيها •

كان صلوات الله وسلامه عليه ، يتـوج كل عام جهاده الروح المتصل بشهر يقضيه فى غار حراء : حيث الخلوة التـامة . وحيـ التجرد المطلق ، أو شبه المطلق عن كل شىء سوى الله ، وهناك فى سحـ

Marfat.com

الليل ، أو فى رائعة النهار يحاول محمـــد أن يحطم الحجب ، وأن يخترق المساتير ، وأن ينفذ ببصيرته الى عالم الغيب : فيصـــل الى سدرة المنتهى ، والى قاب قوسين ، أو أدنى ، حتى يشاهد الجمال فى سنائه ، والجلال فى عظمته ، وكبريائه ، وجلاله •

ها هو ذا الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يبذل مجهودا جبارا ، لا يكاد الانسان يتصوره ، فضلا على أن يأتى بمثله •

وها هو ذا يرى الهدف بعيدا لا يكاد الانسان يفهمه فضلا على أن يصل اليه •

ها هو ذا ، يرى الطريق ، وعثاء صعبة المرتقى •• بيد أن ذلك كله : لم يكن الا ليزيده عزما على عزم ، وارادة على ارادة ، ونشاطا مضاعفا •

انه الجهاد الأكبر ، على حد تعبير الأثر المشهور عن جهاد النفس لتتزكى •

وتمضى السنون بطيئة سريعة فى آن واحد ، وجهاد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، لا يفتر حتى أصبح ــ أو كاد ــ روحا خالصة أو قبســا من نور الله وانتهى به الأمر الى قرب ، يقول عنه الامام الغزالى انه :

« أول حال رســول الله ، صلى الله عليــه وسلم حين أقبل على جبل حراء ، حيث تبتل ، حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب :

Marfat.com

« ان محمدا عشق ربه »

ثم كانت الرسالة ، وكانت المعجزة التى غيرت مجرى التاريخ •

« اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » (١) •

ويقول الدكتور هيكل :

« وجد محمد فيه ــ فى التحنث ــ خير ما يمكنه : من الامعان فيما شغلت به نفسه ، من تفكير، وتأمل ، كما وجد فيه طمأنينة نفسه ، وشفاء شغفه بالوحدة ، يلتمس أثناءها الوسيلة التى يبرح شوقه يشتد اليه ، من نشدان المعرفة واستلهام ما فى الكون من أسبابها •

وكان بأعلى جبل حراء ــ على فرسخين من شمال مكة ــ غار ، هو خير ما يصلح للانقطاع والتحنث ، فكان يذهب اليه طول شهر رمضان ، من كل سنة يقيم به ، مكتفيا بالقليل من الزاد ، يحمل اليه معنا فى التأمل والعبادة ، بعيدا عن ضجة الناس ، وضوضاء الحياة ، ملتمسا الحق ، والحق وحده •

واقد كان يشتد به التأمل ابتغاء الحقيقة ، حتى لقد كان ينسى طعامه ، وينسى كل ما فى الحياة ، لأن هذا الذى يرى فى حياة الناس مما حوله ، ليس حقا •

---

(١) سورة العلق ١/٥ •

Marfat.com

« وشارف محمد الأربعين ، وذهب الى حراء يتحنث ، وقد امتلأت نفسه ايمانا بما رأى فى رؤاه الصادقة ، وقد خلصت نفسه .. وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وقد اتجه بقلبه الى الصراط المستقيم ، والى الحقيقة الخالدة : وقد اتجه الى الله بكل روحه ، أن يهدى قومه بعد أن ضربوا فى تيهاء الضلال .

وهو فى توجهه هذا يقوم الليل ، يرهف ذهنه وقلبه ، ويطيل الصوم ، وتثور به تأملاته ، فينحدر من الغار الى طريق الصحراء ثم يعود الى خلوته ليعود فيمتحن ما يدور بذهنه ، وما يتبين له فى رؤاه .

ولقد طالت به الحال ستة أشهر ، حتى خشى على نفسه عاقبة أمره ، فأسر بمخاوفه الى خديجة ، وأظهرها على ما يرى ، وأنه يخاف عبث الجن به . فطمأنته الزوج المخلصة الوفية ، وجعلت تحدثه بأنه الأمين ، وبأن الجن لا يمكن أن تقترب منه .

ولم يدر بخاطرها ولا بخاطره : أن الله يهيىء مصطفاه بهذه الرياضة الروحية الى اليوم العظيم والى النبأ العظيم : يوم الوحى الأول ، ويهيئه بها الى البعث والرسالة .

وفيما هو نائم بالغار يوما ، جاءه الملك وفى يده صحيفة ، فقال له : « اقرأ » (١) .

---

(١) من « حياة محمد » للدكتور هيكل .

Marfat.com

كانت « اقرأ » مفتتح عهد جديد فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمنذ تلك الآونة لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوة الى الله قط ، كان يدعو ليلا ، وكان يدعو نهارا وكان يدعو فى كل لحظة من لحظاته .

يروى الامام أحمد عن ربيعة بن عباد ــ وكان جاهليا أسلم ــ يقول :

رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بصر عينى بسوق ذى المجاز يقول :

« يا أيها الناس قولوا : لا اله الا الله تفلحوا » .

ويدخل فجاجها والناس متقصفون (١) عليه ، فما رأيت أحدا ل شيئا ، وهو لا يسكت يقول :

« يا أيها الناس قولوا : لا اله الا الله تفلحوا » .

قام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث سنين من أول نبوته ، مستخفيا ، ثم أعلن فى الرابعة ، فأخذ يدعو الناس الى الاسلام عشر سنين يوافى المواسم كل عام يتبع الحجاج فى منازلهم فى المواسم بعكاظ « ومجنة » وذى المجاز يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ، ولهم الجنة ، فلا يجد قبيلة تنصره ، أو رئيسا يجيبه ، حتى انه ليسأل على القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول :

---

(١) اى مجتمعون عليه .

Marfat.com

« يا أيها النـــاس قولوا : لا اله الا الله تفلحوا وتملكوا بهـــا العرب ، وتذل لكم العجم ، واذا آمنتم كنتم ملوكا فى الجنة » •

وكانت قريش تقف فى وجه انتشار الدعوة معارضة لها ، ومنكلة بمن يعتنقها ما استطاعت الى ذلك سبيلا •

ولكن الدعوة كانت تنتشر شيئا فشيئا ، كان يعتنق الاسلام من تحرر من رق العادة والالف ، ومن طلب الحق والرشاد ، ومن يصبر على ايذاء قريش ، ومن لا تؤثر فيه دعاية القرشيين •

ونذكر من هذا مثالين :

١ ــ كان ضماد رجلا من أزد شنودة تخصص فى معالجة الأمراض العقلية ، كان يعالج بالرقى ، ويعـــالج بالايحاء ، ويعـــالج باللمس والدعاء ، وكانت مكانته فى ذلك الزمن مكانة من نسميهم نحن فى العصر الحاضر بالأطباء النفسيين •

ويذكر الامام مسلم والامام البيهقى قصته :

لقد قدم ضماد مكة وكان يرقى من هذه الرياح ، فسمع ســـفهاء مكة يقولون :

ان محمدا مجنون •

سمع هذا الخبر هنا وسمعه هناك ، وعلم من الجو الاجتماعى ، ومن الأخبار الكثيرة أهمية محمد القصوى فى هذه المدينة •

وصدق ضماد واهتم بها اهتماما كبيرا ، وخيل اليه أنه اذا عالجه فقد اكتسب شهرة واكتسب مثوبة ، فقال :

Marfat.com

أين هذا الرجل ، لعل الله يشفيه على يدى ؟

ثم يقول :

فلقيت محمدا فقلت :

انى أرقى من هذه الرياح ، وان الله يشفى على يدى من شاء فهلم •

أى أنه يدعوه الى أن يستسلم له ليعالجه •

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، أشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا رسول الله •

وتعلقت عينا ضماد برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأنصتت أذناه وكان كيانه كله مرهفا مبهورا •

ثم قال :

والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء فما سمعت مثل هذه الكلمات ، ثم طلب من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اعادتها ، وكان يسمع بجميع أقطاره •

ولم تكفه الاعادة فطلب من جديد أن يسمعها للمرة الثالثة ، ثم قال فور الانتهاء من سماعها :

هلم يدك أبايعك على الاسلام ، فقد بلغت كلماتك هؤلاء قاموس البحر •

Marfat.com

ومعنى أنها بلغت قاموس البحر أنها تغلغلت الى أعمق أعماق نفسه ، وامتزجت بباطنه امتزاجا كليا ، وذلك أن قاموس البحر هو أعمق مكان فيه .

ولم ينس المسلمون فيما بعد نفس ضماد هذا ، فكانوا اذا مرت جيوشهم على قوم ضماد أحسنوا اليهم وقالوا فى مودة :

« انهم قوم ضماد »

وكثيرا ما كانت تبلغ الدعوة الى التوحيد قاموس البحر ـ على حد تعبير ضماد ـ فلا يبالى من آمن بايذاء المشركين .

٢ ـ وهذا أبو ذر الغفارى بلغت به كلمات التوحيد قاموس البحر ، فأعلنها على الملأ من قريش ، غير مبال بما يناله فى سبيلها من أذى .

وترك الامام البخارى يذكر قصة اسلامه :

روى الامام البخارى بسنده عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال :

لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخيه :

اركب الى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء فاسمع من قوله ثم ائتنى .

فانطلق الآخر حتى قدم وسمع من كلامه ثم رجع الى أبى ذر فقال له :

Marfat.com

« رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، و ـ سمعت ـ كلاما ما هو بالشعر » •

فتزود وحمل شنة (١) له فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد فالتمس رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعض الليل فاضطجع فرآه على ، فعرف أنه غريب •

فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شىء حتى أصبح •

ثم احتمل قربته وزاده الى المسجد ، ودخل ذلك اليوم ولا يرى النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى أمس ، فعاد الى مضجعه فمر به على فقال :

أما آن للرجل أن يعلم منزله ؟

فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شىء • حتى اذا كان اليوم الثالث فعاد على على مثل ذلك فأقام معه فقال :

ألا تحدثنى بالذى أقدمك ؟

قال : ان أعطيتنى عهدا وميثاقا لترشدنى فعلت ؟

ففعل فأخبره •

قال :

---

(١) اى قربة •

Marfat.com

فانه حق ، وانه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فاذا أصبحت فاتبعنى ، فان رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنى أريق المـاء ، وان مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى •

ففعل ، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ودخل معه ، فسمع من قوله ، وأسلم مكانه •

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :

« ارجع الى قومك فأخبرهم ، حتى يأتيك أمرى » •

فقال : والذى بعثك بالحق لأصرخن بها بين ظهرانيهم •

فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله • ثم قام القوم فضربوه حتى اضجعوه •

فأتى العباس فأكب عليه فقـال : ويلكم ! ألستم تعلمـون انه من غفار ، وأنه طريق تجارتكم الى الشام ؟

فأنقذه منهم • ثم عاد من الغد بمثلها ، فضربوه وثاروا اليه ، فأكب العباس عليه •••

كان المشركون كلما رأوا شخصا يدخل الاسـلام زاد نشاطهم ، واتخذوا كل ما يستطيعون من احتياطات حتى لا يدخل أحد بعد فى الاسلام ، وكان من احتياطاتهم :

١ ــ التنكيل والتعذيب والارهاب بكل الوسائل •

٢ ــ الدعاية الكاذبة ضد محمد صلى الله عليه وسلم •

٣ ــ الترغيب حيث لا يستطيعون الارهاب ، أو حيث لا يكون الارهاب مجديا •

Marfat.com

وسوف لا نتحدث عن التنكيل والتعذيب الذى أوقعوه على المستضعفين أمثال :

بلال وعمار بن ياسر وسمية وأمثالهم •

وسوف لا نتحدث عن الارهاب الذى استعملوه مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومع الأسرة الهاشمية ، ولكننا نعرف أنهم استعملوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائل الترغيب أيضا فى أقوى وأخصب صورة •

وبينما كانت وسائل التعذيب بالمستضعفين من المسلمين تجرى على قدم وساق لا فتور فيها ولا هدنة ، اذا بوسائل الترغيب والاغراء تكال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيلا •

وهذه صورة منها :

كان عتبة بن ربيعة سيدا فى قومه ، قال يوما ، وهو جالس فى نادى قريش ، ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، جالس فى المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم الى محمد ، فأكلمه ، وأعرض عليه أمورا ، لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ؟

ــ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون •

فقالوا : يا أبا الوليد ، قم اليه فكلمه •

فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

فقال :

« يا ابن أخى انك منـا حيث قد علمت من السـطة فى العشيرة والكمال فى النسب • وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ، وكفرت من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منى بعضها •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« قل يا أبا الوليد أسمع »

قال : « يا ابن أخى

ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا : جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ؟

وان كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك؟

وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ؟

وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه ، لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه » ؟

حتى اذا فرغ عتبة ، ورسول الله ، صلى الله عليـه وسلم ، يسمع منه ، قال :

أفرغت يا أبا الوليد ؟

قال : نعم •

قال : فاسمع منى •

قال : أفعل •

قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم : حم تنزيل من الرحمن الرحيم • كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون •

وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه ، وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون • .

قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد ، فاستقيموا اليــه واستغفــروه وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون •

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون(١) » •

ثم مضى رسول الله ، صلى الله عليــه وسلم ، يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة : أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه •

ثم انتهى رسول الله ، صلى الله عليــه وسلم ، الى الســجدة ، فسجد ، ثم قال :

---

(١) فصلت آية : ١ ــ ٨

« قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك » ؟

فقام عتبة الى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض :

نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به •

فلما جلس اليهم قالوا :

« ما وراءك يا أبا الوليد » ؟

قال :

« ورائى أنى سمعت قولا ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة •

يا معشر قريش ، أطيعونى واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب ، فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به » ؟

قالوا : « سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه » •

قال : « هذا رأيى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم » •

قد يقول قائل انه لو عرض على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، هذا العرض من هيئة تستطيع تنفيذه لقبل ؟

هذا القول ينقضه : أن عتبة كان مفوضا من زعماء قريش وينقضه أيضا الخبر الذى ترويه كتب السيرة •

ولقد اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان

ابن حـرب ، والنضر بن الحـارث ــ أخو بنى عبد الدار ــ وأبو البخترى بن هشام ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ــ عليه لعنة الله ــ وعبد الله بن أبى أمية ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان • وأمية بن خلف ، اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض :

« ابعثوا الى محمد فكلموه ، وخاصموه ، حتى تعذروا فيه » •

« فبعثوا اليه : أن أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلموك فأتهم •

فجاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سريعا وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه ، وكان عليهم حريصا : يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس اليهم فقالوا له :

« يا محمد ، انا بعثنا اليك لنكلمك ، وانا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك : لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفهت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح الا جئته فيما بيننا وبينك •

فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنـا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ؟

وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ؟

وان كنت تريد به ملكا ، ملكناك علينا ؟

Marfat.com

وان كان هذا الذى يأتيك رئيا ، تراه قد غلب عليك ــ وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا ــ بذلنا لك من أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك » ؟

فقال لهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

ما بى ما تقــولون ، ما جئت بمــا جئتكم به ، أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ،

ولكن الله بعثنى اليكم رسولا ، أنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا ما جئتكم به ، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه على أصبر لأمر الله ، حتى يحكم بينى وبينكم » •

واستمر الأمر كذلك : ولا يكف المشركون عن المعارضة والايذاء : حتى كانت السنة الحادية عشرة من نبوته ، صلوات الله عليه وسلامه ، وكان الاسراء والمعراج ، فارتد من ارتد ، وثبت من ثبت •

كان حادث الاسراء والمعراج هو حادث التصفية الكاملة •

وكان الفيصل بين الطائفتين : طائفة ثابتة على ايمانها ، لا تزعزعها الأعاصــير ، تميد الجبال ولا تميد • وطائفة مشركة ، قد أحكمت أمرها ، ورتبت شئونها ، وجزمت العزم على أن تقضى على الاسلام مهما طال الزمن •

Marfat.com

ما الاسراء والمعراج ؟

كيف حدثا ؟

وماذا تضمنا من مبادىء ؟

وما هى النتائج التى ترتبت عليهما ؟

Marfat.com

الفصل الثاني

الاسراء والمعراج من الكتاب والسنة

نصوص قرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير (١) »

« والنجم اذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوى • وماينطق عن الهوى • ان هو الا وحى يوحى • علمه شديد القوى • ذو مرة فاستوى • وهو بالأفق الأعلى • ثم دنا فتدلى • فكان قاب قوسين أو أدنى • أوحى الى عبده ما أوحى • ما كذب الفؤاد ما رأى • افتمارونه على ما يرى •

ولقد رآه نزلة أخرى • عند سدرة المنتهى • عندها جنة المأوى • اذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى • لقد رأى من آيات ربه الكبرى » (٢) •

« انه لقول رسول كريم • ذى قوة عند ذى العرش مكين • مطاع

---

(١) الاسراء : آية ١ .
(٢) النجم : ١ : ١٨ .

Marfat.com

ثم آمين • وما صاحبكم بمجنون • ولقد رآه بالأفق المبين • وما هو على الغيب بضنين » (١) •

ان فى آيات سورة النجم الشريفة تكريما عظيما للرسول صلى الله عليه وسلم • فقد :

١ ــ نزه الله علمه عن الضلال : « ما ضل صاحبكم » •

٢ ــ وعصمه عن الغواية : « وما غوى » •

٣ ــ ونطقه عن الهوى : « وما ينطق عن الهوى » •

٤ ــ وفؤاده عن التكذيب : « ما كذب الفؤاد ما رأى » •

٥ ــ وبصره عن الزيغ : « ما زاغ البصر » • ما التفت الى غير الجهة التى تعنيه •

٦ ــ وعن الطغيان : « وما طغى » « والطغيان مجاوزة الحد » •

ولقد أكد الله سبحانه وتعالى ذلك كله ، وأقسم عليه ، ولا ريب أنه ثناء من رب العزة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فى أروع صورة • وسنزيد هذه الآيات شرحا فيما بعد ان شاء الله •

---

(١) التكوير : آية ١٩ : ٢٤ •

Marfat.com

الأحاديث النبوية

١

قال الامام أحمـــد : حدثنا حســـن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت البنـــانى ، عن أنس بن مالك ، أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أتيت بالبراق : وهو دابة بيضاء ، فوق الحمار ودون البغـــل يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته ، فسار بى حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة فى الحلقة التى يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتانى جبريل باناء من خمر واناء من لبن ، فاخترت اللبن •

فقال جبريل : أصبت الفطرة •

قال : ثم عرج بى الى السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل : فقيل له - من أنت ؟

قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل اليه ؟

قال : قد أرسل اليه ، ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخـــير •

ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاســـتفتح جبريل : فقيل له : من أنت ؟

Marfat.com

قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل اليـــه ؟

قال : قد أرسل اليه ، ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى فرحبا بى ودعوا لى بخير •

ثم عرج بنا الى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟

قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد أرســل اليـــه ؟

قال : قد أرسل اليه ، ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه الســلام ، واذا هو قد أعطى شطر الحسن • فرحب بى ودعا لى بخير

ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟

قال : جبريل ، فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل وقد أرسل اليـــه ؟

قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا فاذا أنا بادريس ، فرحب بى ودعا لى بخير ، يقول الله تعالى :

ورفعناه مكانا عليا (١) •

ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل ، فقيـــل : من أنت ؟

---

(١) سورة مريم : ٥٧ .

Marfat.com

قال : جبريل ، فقيل : ومن معك ؟ قال محمد ، فقيل : قد أرسل اليــه ؟

قال : قد بعث اليه • ففتــح لنا ، فاذا أنا بهــارون ، فرحب بى ودعا لى بخير •

ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل ، فقيــل من أنت ؟

قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟

قال : محمد ، فقيل : وقد بعث اليــه ؟ • قال : قد بعث اليــه ، ففتح لنا ، فاذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحب بى ودعا لى بخير •

ثم عرج بنا الى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟

قال : جبريل ، فقيل ومن معك ؟

قال : محمد • فقيل : وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا : فاذا أنا بابراهيم عليه السلام ، واذا هــو مستند الى البيت المعمور ، واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك • ثم لا يعودون اليــه •

ثم ذهبت الى ســدرة المنتهى ، فاذا أوراقها كآذان الفيلة ، واذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها ، فما أحــد من خلق الله يستطيع أن يصــفها من حســنها ، قال : فأوحى الله الى ما أوحى • وقد فرض على فى كل يوم وليلة خمسين صلاة •

Marfat.com

فنزلت حتى انتهيت الى موسى • قال : ما فرض ربك على أمتك ؟

قلت : خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، قال : ارجع الى ربك ، فاسأله التخفيف لأمتك ، فان أمتك لا تطيق ذلك ، وانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم •

قال : فرجعت الى ربى فقلت : أى رب خفف عن أمتى ، فحط عن أمتى خمسا •

فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال : ما فعلت ؟ فقلت حط عنى خمسا ، فقال : ان أمتك لا تطيق ذلك ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك •

قال : فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى • ويحط عنى خمسا خمسا حتى قال : يا محمد هن خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة ، فلم يعملها كتبت له حسنة • فان عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة ، فلم يعملها لم تكتب ، فان عملها كتبت سيئة واحدة •

فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته • فقال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فان أمتك لاتطيق ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لقد رجعت الى ربى حتى استحييت » •

رواه مسلم بهذا السياق •

قال البهيقى : وفى هذا السياق : أن المعراج كان ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام من مكة الى بيت المقدس •

ويقول ابن كثير عن ذلك :

وهذا الذى قاله هو الحق الذى لا شك فيه ولا مرية •

وقبل أن نبدأ أحاديث أخرى نذكر أنه •

ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء ، والمتكلمين ، الى أن الاسراء والمعراج :

وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة •

بجسد النبى صلى الله عليه وسلم وروحه •

بعد البعثة •

ولقد توارد على ذلك ــ كما يقول الامام ابن حجر ــ ظواهر الأخبار الصحيحة ، ولا ينبغى العدول عن ذلك اذ ليس فى العقل ما يحيله (١) حتى يحتاج الى تأويل •

ولو كان ذلك مناما ، أو بالروح فقط لما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم مكذب ، لجواز وقوع مثل ذلك وأبعد منه لآحاد الناس •

ان الناس فى الرؤيا يرون أنهم سافروا وأبعدوا ، وذهبوا

(١) يفرضه مستحيلا .

Marfat.com

وجاءوا وعقدوا العقود ورأوا نتائج عقودهم ، وثمـار عهودهم ، فلو كنا بصدد رؤيا لما ارتاب فى صدق الصادق الصدوق صـلوات الله وسلامه عليه انسان •

ولما أشفقت السيدة أم هانىء رضى الله عنها على رسـول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لمـا أخبرها الخبر وقال : انه سيحدث الناس به ، فأرادت منه أن يعدل عن ذلك قائلة : انهم سيكذبونك ، فلم يستجب صلوات الله وسلامه عليه لنصيحتها ، لأن الحق ينبغى أن يذاع ، وأذاعه ، صلى الله عليه وسلم ، بين الناس ، وحدث ما حدث مما سنذكر بعضه فيما بعد ان شاء الله •

٢

وفى حديث عند الطبرانى والبزاز أنه عليه الصلاة والسـلام : مر على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم ، كلما حصـدوا عاد كما كان •

فقال لجبريل عليه السلام : ما هذا

قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله ، تضـاعف الحسـنة الى سبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين •

ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم من ذلك شىء •

Marfat.com

فقال : ماهذا ياجبريل ؟

قال هؤلاء الذين تثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة •

ثم أتى على قوم ، على اقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح الأنعام ، يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم•

فقال : ماهؤلاء ؟

قال : هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم ، وما ظلمهم الله ، وما ربك بظلام للعبيد •

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ، ولحم نيء قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيىء الخبيث ويدعون النضيج •

فقال : ماهؤلاء ياجبريل ؟

قال جبريل :

هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب ،فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا ، فتأتى رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح •

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها

فقال ما هذا ياجبريل ؟

قال : هذا الرجل من أمتك ، تكون عليه أمانات الناس ، لايقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها •

Marfat.com

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لايفتر عنهم من ذلك شيء •

قال :ما هذا يا جبريل ؟

قال هؤلاء خطباء الفتنة •

قال : ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع •

فقال :ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة يندم عليهـا فلا يستطيع أن يردها •

ثم أتى على واد توجد فيه ريحـا طيبة باردة ، وريح مسـك ، وسمع صوتا •

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا صوت الجنة ، تقول :

رب آتنى بما وعدتنى ، فقد كثرت غرفى واستبرقى ، وحريرى وسندسى ، وعبقرى ، ولؤلؤى ، ومرجانى ، وفضتى ، وذهبى ، وأكوابى ، وصحافى وأباريقى ، ومراكبى ، وعسلى ، ومائى ، ولبنى، وخمرى ، فأتنى بما وعدتنى ! !

قال : لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ،ومن آمن بى وبرسلى، وعمل صالحا ولم يشرك بى شيئـا ، ولم يتخذ من دون الله أندادا •

Marfat.com

ومن خشينى فهو آمن ، ومن سألنى فقد أعطيته ، ومن أقرضنى جازيته ، ومن توكل على كفيته •

اننى أنا الله لا اله الا أنا ، لا أخلف الميعاد ، قد أفلح المؤمنون ، وتبارك الله أحسن الخالقين :

قالت : فقد رضيت •

ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة •

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا صوت جهنم ، تقول :

رب آتنى بما وعدتنى فقد كثرت سلاسلى ، وأغلالى وسعيرى وحميمى ، وضريعى ، وغساقى ، وعذابى ، وقد بعد قعرى ؛ واشتد حرى ، فآتنى بما وعدتنى •

قال : لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب •

قالت : قد رضيت •

فسار حتى أتى بيت المقدس •

٣

وفى رواية أبى سعيد عند البهيقى ، دعانى داع عن يمينى ، انظرنى أسألك ، فلم أجبه •

ثم دعانى آخر عن يسارى كذلك فلم أجبه ، وفيه :

Marfat.com

اذا امرأة حاسرة عن ذراعيها وعليهـا من كل زينة خلقهـا الله تعالى ، فقالت :

يا محمد : أنظرنى أسألك ؛ فلم ألتفت اليها ؛ وفيه :

أن جبريل قال له :

أما الداعى الأول : فهو داعى اليهـود ، ولو أجبتـه لتهودت أمتك .

وأما الثانى : فداعى النصارى ، ولو أجبته لتنصرت أمتك .

وأما المرأة : فالدنيا .

وفى حديث أبى سعيد : أنه رأى أخونة عليهـا لحم طيب ليس عليها أحد ، وأخرى عليها لحم نتن ، عليها ناس يأكلون .

قال جبريل : هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام .

وفيـه : أنه مر بقوم بطونهم أمثال البيوت ، كلما نهض أحدهم خر ،وأن جبريل قال له :

هم أكلة الربا .

وأنه مر بقوم مشافرهم كالابل يلتقمون جمرا فيخرج من أسافلهم وأن جبريل قال :

هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما .

وأنه مر بنساء تعلقن بثديهن ، وأنهن الزوانى .

وأنه مر بقوم يقطع من جنـوبهم اللحم ، فيطعمـون وأنهـم الغمازون اللمازون .

وفيه : حتى أتيت بيت المقـــدس ، أوثقت دابتى بالحلقة التى كانت الأنبياء تربطها فيها فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس ، فصلى كل واحد منا ركعتين •

٤

وفى رواية أنس عند مسلم :

ثم دخلت المسجد فصـليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فجاءنى جبريل عليه السلام ، باناء من خمر واناء من لبن ، فاخترت اللبن •

فقال جبريل :

اخترت الفطرة ــ أى اخترت اللبن الذى عليه بنيت الخلقة ــ

وقال النووى :

المراد بالفطرة هنا : الاسلام والاستقامة •

٥

وفى رواية ابن مسعود نحوه ، وزاد :

ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين : ما بين قائم ، وراكع وساجد •

ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة ، فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم •

Marfat.com

٦

وفى رواية أبى أمامة عند الطبرانى :

ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم •

٧

وأخرج البزار من طريق قتادة عن أنس :

« أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل » •

٨

وأخرج البخارى من طريق عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى :

« وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس (١) » •

قال :

« هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليلة أسرى به » •

وأخرج الطبرانى فى الأوسط بسند صحيح عن ابن عباس أنه كان يقول :

« ان محمدا صلى الله عليه وسلم ؛ رأى ربه مرتين : مرة ببصره ، ومرة بفؤاده » •

Marfat.com

وأخرج أيضا عن ابن عباس قال :

نظر محمد الى ربه ، قال عكرمة : فقلت له : نظر محمد الى ربه ؟

قال :نعم ، جعل الكلام لموسى ، والخلة لابراهيم ، والنظر لمحمد صلى الله عليه وسلم •

٩

وأخرج البهيقى فى (كتاب الرؤيا) بلفظ :

« ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة ، واصطفى موسى بالكلام ، واصطفى محمدا بالرؤيا » •

وأخراجه بلفظ :

« أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤيا لمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ » •

١٠

وأخرج أحمد بسند صحيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« رأيت ربى عز وجل » •

١١

وأخرج مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

Marfat.com

« مررت ليلة أسرى بى على موسى عليه السلام قائما يصلى فى قبره » •

١٢

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس ، أن النبى صلم الله عليه وسلم « مر على موسى وهو قائم يصلى فى قبره » (١) •

١٣

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة عن أنس :

« أن النبى صلى الله عليه وسلم فرضت عليه الصلاة ليلة أسرى به » •

١٤

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس عن أبى بن كعب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ليلة أسرى بى وجدت ريحا طيبة ، فقلت : ياجبريل ، ما هذه ؟ قال :

هذه الماشطة وزوجها وابنها ، بينما هى تمشط ابنة فرعون ، اذ سقط المشط من يدها ، فقالت تعس فرعون ، فأخبرت أباها فقتلها •

---

(١) وهذه رواية اخرى تؤيد السابقة ، رويناها متعمدين لما سنذكره من هذا الموضوع •

Marfat.com

وأخرج أحمد والنسائى والبزاز والطبرانى والبيهقى ، وابن مردويه بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ولما (١) أسرى بى مرت بى رائحة طيبة ، فقلت :

ما هذه الرائحة ؟

قالوا : ماشطة بنت فرعون وأولادها ، سقط مشطها من يدها ، فقلت :

بسم الله .

فقالت ابنة فرعون : أبى ؟

ربى هو ربك ورب أبيك .

أولك رب غير أبى ؟

نعم .

فقال : ألك رب غيرى ؟

نعم ، ربى وربك الله .

فأمر ببقرة من نحاس ، فأحميت ، ثم أمر بها لتلقى فيها وأولادها فألقوا واحدا واحدا ، حتى بلغ رضيعا فيهم فقال :

قعى يا أمه ولا تقاعسى فانك على حق .

قال : وتكلم أربعة وهم صغار ، هذا وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى ابن مريم .

---

(١) هذه رواية غير السابقة .

١٦

وأخرج الترمذى ــ وحسنه وابن مردويه من طريق عبد الرحمن عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«لقيت ابراهيم ليلة أسرى بى فقال :

يا محمد ! أقرىء أمتك منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله اكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » •

١٧

وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه ، عن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر على ابراهيم عليه السلام ، فقال له ابراهيم :

مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة ، فان تربتها طيبة ، وأرضها واسعة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :

« وما غراس الجنة؟

قال : لاحول ولاقوة الا بالله » •

١٨

وأخرج أحمد وأبو داود من طريق عبد الرحمن بن جبير عن أنس قال :

Marfat.com

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت :

من هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون فى أعراضهم » .

١٩

وأخرج ابن مردويه ، من طريق قتادة وسليمان التيمى وثمامة وعلى بن زيد ، ، عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ليلة أسرى بى مررت بناس تقرض شفاههم بمقارض من نار كلما قرضت عادت » .

فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هؤلاء خطباء أمتك ، يقولون ما لا يفعلون » .

٢٠

وأخرج ابن ماجه والحكيم الترمذى فى (نوادر الأصول) . وابن أبى حاتم ، وابن مردويه من طريق يزيد بن أبى مالك ، عن أنس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« رأيت ليلة أسرى بى مكتوبا على باب الجنة : الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر .

٥٣

Marfat.com

فقلت لجبريل :
ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟
قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لايستقرض الا من حاجة » .

٢١

أخرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« رأيت ليلة أسرى بى رجلا يسبح فى نهر يلقم الحجارة » .
فسألت : من هذا ؟
فقيل : لى هذا آكل الربا .

٢٢

وجاء فى رواية أبى سعيد الخدرى عن البيهقى ، وفى رواية أبى هريرة عن ابن أبى حاتم :
« فاذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر ، فيقول :
اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون ، قال :
فتجىء السابلة ، فتطؤهم ، قال فسمعتهم يضجون الى الله ، قال :
قلت يا جبريل من هؤلاء ؟
قال : هؤلاء من أمتك :

Marfat.com

« الذين يأكلون الربا ، لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس (١) » .

٢٣

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لما أسرى بى انتهيت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها أمثال القلال » .

٢٤

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ــ فيما رواه الامام أحمد قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لما كانت ليلة أسرى بى . وأصبحت بمكة ، فظعت أمرى . وعرفت أن الناس مكذبى » .

قال : فمر عدو الله : أبو جهل ، فجاء حتى جلس الى ، فقال له أبو جهل كالمستهزىء :

هل كان من شىء ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نعم »

قال : ما هو ؟

---

(١) سورة البقرة من آية ٢٧٥ .

Marfat.com

قال :

« انه أسرى بى الليلة » •

قال : الى أين ؟

قال :

« الى بيت المقدس » •

قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال :

« نعم »

قال : فلم ير أنه يكذبه ، مخافة أن يجحده الحديث اذا دعا •

قال : أرأيت ان دعوت قومك تحدثهم ما حدثتنى ؟ •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نعم »

فانطلق أبو جهل الى قريش فقال :

هيا يا معشر بنى لؤى •

قال : فانتفضت اليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا اليهما •

فقال أبو جهل : حدث قومك بما حدثتنى ؟ !

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« انى أسرى بى الليلة » •

قالوا : الى أين ؟

قال :

« الى بيت المقدس » •

قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا

قال :

« نعم »

فاذا بالقوم بين مصفق ، وبين واضـــع يده على رأســـه متعجبا للكذب !! زعم

قالوا : وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟

ـ وفى القوم من قد سافر الى ذلك البلد ورأى المسجد ـ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« فذهبت أنعت ، فمـــا زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت فجىء بالمسجد وأنا أنظر ، حتى وضـــع دون دار عقيل • فنعته وأنا أنظر اليه » •

قال : فقال القوم : « أما النعت فوالله لقد أصاب »

وعن الحسن : أنه فى يوم الحديث عن الاسراء : ارتد كثير ممن كان أسلم ، وذهب الناس الى أبى بكر ، فقالوا له :

« هل لك يا أبا بكر فى صاحبك ؟

يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ورجع الى مكة !

فقال لهم أبو بكر : انكم تكذبون عليه ؟ !

فقالوا : لا ، ها هو ذاك فى المسجد يحدث به الناس •

قال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك ؟

Marfat.com

فو الله انه ليخبرنى : أن الخبر ليأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه .

ثم أقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبى الله . أحدثت هؤلاء القوم : انك أتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟

قال :

« نعم »

قال يا نبى الله . فصفه لى فانى قد جئته ؟

قال الحسن : فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

« فرجع لى حتى نظرت اليه ، فجعل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يصفه لأبى بكر ، ويقول أبو بكر : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، قال :

حتى انتهى .

قال رسول الله صلى عليه وسلم ، لأبى بكر :

وأنت يا أبا بكر : « الصديق » فيومئذ سماه « الصديق » .

هذا هو الموجز الذى ترويه السنة مؤيدة القرآن عن هذا النبأ الجليل ، ولقد حاول ابن سحاق أن يبين الحكمة فى هذا الحادث فقدم ـ حسبما يروى ابن هشام ـ لحديث الاسراء بكلمة نفيسة يقول فيها :

« وكان فى مسراه وما ذكر منه : بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة ،

Marfat.com

وثبات لمن آمن بالله وصدق • وكان من أمر الله على يقين •

فأسرى به كيف شاء وكما شاء : ليريه من آياته الكبرى ما أراده، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التى يصنع بها ما يريد » •

أما الامام البوصيرى فانه يقول فى « همزيته المباركة » •

فطـوى الأرض سائرا والسـموا
ت العـــلا فوقهـــا له اسراء

نصـف الليـــلة التى كان للمخـ
تار فيهـا على البراق اســـتواء

وترقى بـه الى قاب قـوســين
وتلك الســـيادة القعســـاء

رتب تسـقط الأمـانى حسـرى
دونهـــا مـــا وراءهـن وراء

ثم وافى يحـدث النـاس شـكرا
اذا أتتـــه من ربـه النعمـــاء

وتحـدى فارتـــاب كل مـريب
أو يبقى مـع السـيول الغثـاء ؟

هذا النبأ الجليل يسمعه قوم ، فلا يصل الا الى الجوانب الظاهرية منهم ، فيأخذون فى الجدل الشكلى ، أكاد ذلك فى اليقظة ؟

Marfat.com

ام كان ذلك فى النوم ؟
أكان ذلك بالروح والجسد ؟
أم كان بالروح فقط ؟
وهل كان ليلا ؟
أم كان نهارا ؟

وهذه كلها صور من الجدل الذى يثور ، حينما يخف وزن الايمان فى النفوس (١) ويسمع هذا النبأ قوم ، فيصل الى أعماق قلوبهم ،

---

(١) يقول شوقى رحمه الله فى قصيدته التى عارض فيها الامام البوصيرى هذه الأبيات الجميلة :

يتساءلون ـ وانت اطهر هيكل
بالروح ام بالهيكل الاسراء
بهما سموت مطهرا وكلاهما
نور وروحانية وبهاء
فضل عليك لذى الجلال ومنة
والله يفعل ما يرى ويشاء
تغشى الغيوب من العوالم كلما
طويت سماء قلدتك سماء
فى كل منطقة حواشى نورها
نون وانت النقطة الزهراء
أنت الجمال بها وانت المجتلى
والكف والمرآة والحسناء
الله هيا من حظيرة قدسه
نزلا لذاتك لم يجزه علاء
العرش تحتك سدة وقوائم
ومناكب الروح الأمين وطاء
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم
حاشا لغيرك موعد ولقاء

فيتجهون فى صورة طبيعية الى مغزاه العميق ، والى روحانيته السامية، ويرون أن هذا النبأ : ينطوى على توجيهات لا ينبغى أن يمر عليها الناس مر الكرام ..

من هذه التوجيهات ؟

١ ــ لقد كان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، خاتمة سلسلة من الأنوار التى يرسلها الله الى العالم بين الفينة والفينة لتهدى الى الرشاد ، ولتقود الى الله ، ولتسمو بالمؤمنين درجات فى معارج القدس ، لتصل بالجديرين منهم الى الكمال المرجو ، عن طريق الارشاد الالهى . وكان الكتاب الذى أنزل عليه ، صلوات الله عليه وسلامه ، وهو القرآن : خاتم الكتب وأكملها ومهيمنا عليها .

ولأن رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه ، تخلق بأخلاق أكمل كتاب ربانى ، فهو اذن أكمل رسول صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا كانت امامته ، صلوات الله عليه وسلامه بالرسل والأنبياء فى بيت المقدس .

ولأنه صلوات الله عليه وسلامه أكمل رسول :

كان من أجل ذلك أقرب المقربين الى الله سبحانه وتعالى .

لقد تخطى الأرضين والسموات ، وتجاوز الكون كله ، ووصل

Marfat.com

الى ما لم يصل اليه بشر ، بل الى ما لم يصل اليه جبريل نفسه ، عليه السلام ، لقد وصل ، صلوات الله وسلامه عليه الى :

« قاب قوسين أو أدنى » •

وكما أن المعنى الذى يدل عليه نبأ المعراج : من وجود الأنبياء والرسل فى السموات ، ومن أن الرسول ، صلوات الله عليه وسلامه ، أخذ يتجاوز هذه السموات الواحدة بعد الأخرى ، يتجاوز الأنبياء واحدا بعد الآخر • نقول : كما أن المعنى الذى يدل عليه النبأ معنى مكانى ، فأنه أيضا ــ بل وبطريق أولى ــ معنى روحى • أى أن الرسول ، صلوات الله عليه وسلامه فى تساميه الروحى فى كل لحظة من اللحظات قد بلغ معراجه الى درجات تجاوزت ــ فى روحانيتها ــ آدم فى سمائه الأولى ، ثم تجاوزت ••• و ••• وهكذا حتى تجاوزت روحيا ابراهيم عليه السلام فى سمائه السابعة • لقد تجاوز رسول الله ، صلى الله عليه وسلم كل ذلك ، وتجاوز الكون كله الى سدرة المنتهى ، الى السدرة المنتهى ، الى شجرة النهاية ، ثم انى حيث لا يبلغ ملك مقرب ، ولا نبى مرسل الى قاب قوسين أو أدنى •

ولقد رأى من آيات ربه الكبرى ، هذا هو مقام الرسول صلوات الله وسلامه عليه !!

ولكن بعض الناس ينزل بنا من هذه الآفاق العليا والسموات السامية ، ومن الرحاب الالهى • ينزل بنا منحدرا فيجادل فى الاسراء والمعراج •

Marfat.com

أكان رؤيا ؟

أم كان يقظة ؟

استغفر الله وأتوب اليه !!

ان ذلك الجدال ان دل على شيء فانما يدل على ضعف الايمان في قلب المجادل المارى •

٢ ــ واذا كانت التوجيهات السابقة ، انما كانت لتدلنا على مقام رسو الله ، صلوات الله عليه وسلامه ، فنزداد بذلك تقديرا وحبــا واتباعا ، فان من هدى الله سبحانه وتعالى وتوجيهاته فى نبأ الاسراء والمعراج :: هذه الرمزيات الأخلاقية التى تربط ربطا محكما بين الدين والأخلاق •

والواقع أن الأخلاق فىجو الاسلام مرتبطة بالدين ارتباطا لا ينفصل: منه تنبع ، وعلى أساسه تقوم ، وعنه تصدر ، انها جزء من الدين الاسلامى ، لايتجزأ،مصدرها هو مصدره : الهى ربانى •

وبعض الناس فى العصر الحديث يريد أن يجعل للأخلاق مصادر أخرى •

يريد بعضهم أن يجعل أساس الأخلاق الضمير ، بيد أن ذلك خطأ بين ، فالضمير يربى ويكون ، وتربيته وتكوينه هما شكله ، ونزعته واتجاهه ، الذى يتكيف بحسب الثقافة ، والبيئة والعصر والوسط •

Marfat.com

ان الضمير يصنع كما تصنع المزيفات وهو اذن مقياس للأخلاق خاطىء •

وبعض الناس يريد ان يرجع بالأخلاق الى المصلحة العامة ، ولكن المصلحة العامة كلمة غير محددة ، وكل من يتحدث باسم المصلحة العامة : انما يتحدث باسم فكرته هو ، منحرفة كانت هذه الفكرة أو غير منحرفة •

والمصلحة العامة اذن كأساس للأخلاق: انما هىأساس غيرمضمون•

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق الى المصلحة الشخصية أو اللذة ، أو الى المنفعـــة وكل هذا وارد الغربَ الأوربى ، أو الغرب الأمريكى عندما انحرف هذا الغرب وألحد •

أما وارد الشرق الاسلامى ، أو بتعبير أدق ، وارد الاسلام الالهى، فان مقياس الأخلاق فيه : انما هو المبادىء الدينية ، انما هو آيات القرآن ، وانما هو الفضائل التى أوحاها الله ، سبحانه وتعالى • هذه الفضائل التى حددها القرآن فى أسلوب عربى مبين وتحدث عنها نبأ الاسراء والمعراج فى صور رمزية دالة هادفة مؤثرة وبينتها الســنة النبوية الشريفة ، وركزها القرآن والسنة على أنس من الايمــان قوية ثابتة ، انها فى رحلة الاسراء والمعراج تكون منهج حياة مؤسسة على الايمان بالله ورسوله ، وهذا المنهج هو الذى نريد رسمه الآن بتوفيق الله تعالى •

الفصل الثالث

منهج الحياة الذى رسمته أنباء الاسراء والمعراج

Marfat.com

ونعود من جديد الى أسانيد حادث الاسراء والمعراج فى السنة الشريفة ، فنقول :

ان حادث الاسراء والمعراج ورد فى روايات عدة ، منها الصحيح، ومنها الحسن ، أخرجها أئمة الحديث رضوان الله عليهم ، يذكر بعضها ما لم يذكره البعض الآخر ، تتفق فى جوهرها ولا تتعارض فى جزئياتها ، يرويها بعضهم مختصرة ، ويرويها بعضهم متوسطة ، ويرويها بعضهم مطولة ، وكل صورة منها يتعدد سندها ، أى يختلف الرواة الذين رووها ، ومع ذلك تكون الصورة واحدة فى جوهرها •

الجوهر اذن متواتر ، واذا أخذنا برأى الامام ابن حزم فى أن المتواتر ما روى بروايتين فان التفاصيل ــ فى أغلبها ــ تكون أيضا متواترة •

كل هذا مع ثبوت الأمر فى جوهره بالكتاب العزيز • ونحن اذن حينما نبدأ فى الحديث عن الاسراء والمعراج على أنه منهج الحياة ، ونستمد الصورة أحيانا من الجزئيات والتفاصيل ، فانما نقف فى ذلك على أرض صلبة ونسير فى الرسم على أساس من المروى •

Marfat.com

التوبة

وتبدأ قصة الاسراء والمعراج فى بعض روايات البخـارى ، وفى بعض روايات غيره بشق الصدر ، من ذلك ما يرويه أحمد بسنده عن أنس بن مالك قال :

كان أبى بن كعب يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، قال :

« فرج سـقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صـدرى، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فأفرغها فى صدرى ثم أطبقه ... » .

هذا الحادث هو بالنسبة لنا التوبة ، فان تطهير القلب الذى حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، عدة مرات فى حياته انمـا هـو بالنسبة لأتباعه بمثابة التوبة » .

والواقع أن حياة المسلم فى طريقه الى الله ، انما تبـدأ بالتوبة ، وليس قبل التوبة من درجة تسبقها ، والتوبة التى نتحدث عنها انما هى التوبة الخالصة النصوح ، فان الله تعالى يقول :

« يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا .. » (١) .

---

(١) التحريم : ٨

فأرشد سبحانه الى أن التوبة المطلوبة انما هى التوبة النصوح ، ولأجل أن تكون التوبة خالصة نصوحا فانه لابد من توفر شروط • ويتحدث الامام النووى عن شروطها فى كتـــابه المبـــارك « رياض الصالحين » فيقول :

التوبة واجبة من كل ذنب ، فان كانت المعصية بين العبـــد وبين الله تعالى ، لا تتعلق بحق آدمى ، فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية •

والثانى : أن يندم على فعلها •

والثالث : أن يعزم أن لا يعود اليها أبدا •

فان فقد أحد الثلاثة فلا تصح التوبة •

وان كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة : هـــذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها ، فان كانت مالا أو نحوه رده اليه ، وان كان حد قذف أو نحوه مكنه منه ، أو طلب عفوه ، وان كانت غيبة استحله منهـــا •

ولأن التوبة أول سلم فى معراج السالكين الى الله ؛ ولأنها واجبة من كل ذنب ، ولأنها تجب (١) ما قبلها ، ولأنها تضع الانسان فور تحققه بها فى مرتبة البراءة والطهارة والنقاء ، فان الاسلام حث عليها كثيرا ، يقول الله تعالى آمرا بها :

« وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (٢) •

---

(١) اى تمحوه وتزيله .

(٢) النور : ٣١

وقد فتح الله بابها ـ خالصة نصوحا ـ على مصراعيه ـ فقال فى أسلوب يسيل رحمة ورأفة :

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » (١) .

انه سبحانه يغفرها بالتوبة ، لأنه سبحانه يقول بعد ذلك موجها للمسلمين الى الطريق :

« وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون » (٢) .

ويتابع القرآن فى التوجيه الى التوبة فى أسلوب كله رحمة ورأفة ما جاء فى حديث قدسى طويل رائع ، يقول الله تعالى فيه :

« يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفرونى أغفر لكم » .

ويتابع ذلك كله الأحاديث النبوية :

« ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعترف بالخطيئة كواقع لا يتأتى انكاره فيقول :

---

(١) الزمر : ٥٣
(٢) الزمر : ٥٤/٥٥

Marfat.com

« كل ابن آدم خطاء » •

ولكنه يرشد الى الوسيلة التى تفضل بعض الخطائين وتجعل لهم منزلة فى الخير : فيقول :

« وخير الخطائين التوابون » •

يقول الامام القشيرى :

ومن لطائف المعراج : ما خص به أول حاله فى تلك الليلة بالطهارة على ما ذكرنا فى بعض الروايات فيما تقدم : أن جبريل عليه السلام حمله الى زمزم وشق صدره وغسل قلبه •

وقد شق قلب النبى صلى الله عليه وسلم مرتين : مرة فى حالة صباه ، وهو بعد فى حجر حليمة ، والمرة الثانية ليلة المعراج •

وفى تخصيص قلبه بالغسل دون غيره من البدن اشارات • منها : أن القلب محل العرفان ، وهو المضغة التى بصلاحها صلاح البدن •

وهو محل الشاهدة •

ولكى لا يكون لغير الحق نصيب فى قلبه •

ولتنبيه الأمة على طهارة القلب •

واذا كان شق الصدر الذى سبق هذا الحادث الخطير حادث الاسراء والمعراج ــ هو بالنسبة لنا التوبة ، فانه أيضا توجيه واضح لنا أن نلجأ الى الله تعالى تائبين عند الشروع فى أى أمل له قيمته •

Marfat.com

انه توجيه لنا أن نلجأ الى الله تائبين عند الشروع فى شراء ، وفى بيع ، فى ارتباط بزواج ، فى بناء بيت ، فى الشروع فى سفر •

وليست التوبة فى مثل ذلك توبة من ذنب • وانما هى التجاء الى الله •

وتشفع اليه سبحانه بتأكيد صفاء النفس وطهارة القلب من أجل أن يسدد الخطأ ويمنح التوفيق ، ويحفظ من الأخطاء •

انها توسل الى الله بعمل صالح هو التوبة •

الغاية فى منهج الحياة

ويمكن للانسان أن يتعجل السؤال عن الغاية فيقول :

اذا كان بدء الرحلة الاسلامية انما هو التوبة فما نهايتها ؟

ونقول دون تردد ولا شك :

ليس دون الله منتهى •

وذلك أن الله سبحانه وتعالى هو الغاية للمؤمن المتبصر •

ولقد أعلن الله صراحة أنه سبحانه اليه المنتهى فقال :

« وأن الى ربك المنتهى » (١) •

ويقول أبو سعيد الخراز رضى الله عنه معبرا عن شعور المؤمن بالنسبة لله سبحانه :

« كل ما فاتك من الله سوى الله يسير

وكل حظ لك ، سوى الله قليل »

---

(١) النجم : ٤٢

Marfat.com

ان هجرة المؤمن اليه سبحانه :

« انى ذاهب الى ربى سيهدين » (١) •

وفرار المؤمن الى الله ، ولقد أمر الله بالفرار اليه فقال :

« ففروا الى الله » (٢) •

وذهاب المؤمن اليه :

« انى ذاهب الى ربى » •

ولقد كانت نهاية الرحلة التى نحن بصددها رحلة الاسراء والمعراج ــ الانتهاء الى الله سبحانه وتعالى ، فهى رحلة انتهت الى غايتها الحقيقية التى هى الله فحققت :

« وأن الى ربك المنتهى » •

وانه ــ اذا تحدثنا عن ثمرة السلوك الى هذا المنتهى ــ بمقدار قرب السالك من هذا المنتهى تكون رعاية الله له وعنايته به •

على أن هذه الرعاية ، وهذه العناية تبدأ منذ الخطوة الأولى التى تتمثل فى الاستغفار •

والله سبحانه وتعالى يأمر بالاستغفار ، ويبين ما يترتب عليه من آثار : وهى آثار ليست بالهينة ، أو التافهة ، انها آثار ضخمة ، يقول سبحانه :

« استغفروا ربكم انه كان غفارا • يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » (٣)•

---

(١) الصافات : ٩٩

(٢) الذريات : ٥٠

(٣) نوح : ١٠/١٢

Marfat.com

ويقول سبحانه :

« استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم » (١) .

وكلما ازداد الانسان استغراقا فى السلوك الى الله ، ازدادت رعاية الله له وعنايته به ، حتى اذا ما انتهى اليه سبحانه كانت العناية المناسبة، والرعاية الكافية ، فى الدنيا وفى الآخرة :

«ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم » (٢) .

وليس معنى الوصول الى هذا المنتهى ــ وهو الله سبحانه ــ الاستقرار الروحى ، كلا ، وانما معناه من جانب ، زوال القلق والاضطراب النفسى . وزوال هم الرزق ، وخوف الموت ، وزوال كل ما يصرف الانسان عن الله ، أو يشغل بؤرة التفكير ، ويحل فى أعماق النفس .

ولكن الوصول الى هذا المنتهى معناه ــ من جانب آخر ــ الرقى الروحى الدائم ، الفيوضات الالهية المستمرة ، المعرفة اللدنية المتتالية ، وصلوات الله وسلامه على من وصل الى هذا المنتهى وأمر مع ذلك أن يقول :

---

(١) هود : ٥٢
(٢) يونس : ٦٢/٦٤

Marfat.com

« رب زدنى علما » (١) •

وزيادة العلم فى عرف أولياء الله ، انما هى زيادة السعادة ، ومن أجل ذلك يقول أحد العارفين :

نحن فى سعادة لو عرفها الملوك لجالدونا عليها بسيوفهم •

وتتلون السعادة بلون المعرفة ، ولكل باب من أبواب المعرفة مذاق خاص ، فله اذن لذة خاصة ــ اذا أمكن التعبير بكلمة اللذة فى هذا المقام ــ وهو يسلم الى مايليه ، وما يليه له مذاقه الخاص فله أيضا لذته ، انها جنة الدنيا فى سموها وجمالها وجلالها •

ولا يحجب أولياء الله عن الله مال • وقد يكونون فى ثراء عريض فلا يصرفهم ذلك عن الله ، وما صرف سليمان ملكه عن الله ، وقد يعرض عليهم الثراء العريض فلا يعيرونه أهمية •

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« خيرت بين أن أكون ملكا رسولا ، أو عبدا رسولا ، فاخترت أن أكون عبدا رسولا » •

ويتحدث الامام أبو سعيد الخراز عن ذلك بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول :

وهذا النبى صلى الله عليه وسلم :

بينما جبريل عليه السلام عنده ، اذ تغير جبريل ، فاذا ملك قد نزل من السماء لم ينزل قط •

---

(١) طه : ١١٤

Marfat.com

فقال جبريل عليه السلام : خشيت أنه نزل فى أمر .

فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام من عند الله عز وجل وقال له :

هذه مفاتيح خزائن الأرض تسير معك ذهبا وفضة مع البقاء فيها الى يوم القيامة ولا تنقصك مما لك عند الله شيئا .

فلم يختر النبى صلى الله عليه وسلم ذلك . وقال :

« أجوع مرة وأشبع مرة » .

ولا يحجب أولياء الله عن الله لذة حسية فهم فى لذة دائمة مستمرة أسمى وأنفس .

انهم لا يحجبهم عنه متاع دنيوى أيا كان فاستبشار قلوبهم بقربها الى الله تعالى ، وسرورها به ، وهدوئها فى سكونها اليه وأمنها معه .

Marfat.com

ما بين البدء والغاية

١ ـ الجهـاد

كيف الوصول الى هـذا المنتهى الذى فيه الرضا ، وفيه زيادة الأنوار ، وتلاحقها على الدوام ، وفيه السعادة التى لا تنقطع ؛ وفيه مرضاة الله سبحانه وتعالى ، وحفظه وعنايته ، ورعايته ومحبته ؟

هذا ما ترسمه الرحلة المباركة فما بين شق الصـدر أو التوبة وبين :

« ثم دنا فتدلى • فكان قاب قوسين أو أدنى » (١) •

وبمجرد أن تبدأ الرحلة المباركة ، يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا عجيبا •

انه يرى قوما يزرعون ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كمـا كان •

فقال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام : ما هذا ؟

قال : « هؤلاء المجاهدين فى سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة الى سبعمائة ضعف ومـا أنفقوا من شىء فهو يخلفه وهو خـير الرازقين » •

---

(١) سورة النجم : ٩/٨

Marfat.com

وتنقلنا هذه الرؤية من التوبة مباشرة الى الجهاد •

وهذا انتقال طبيعى ، فانه اذا كانت التوبة حقا خالصة نصوحا تتبعت لا محالة الجهاد •

وللجهاد فى الدين الاسلامى مكانة عظمى : فقد روى الشيخان بسندهما عن أبى ذر رضى الله عنه قال :

قلت يارسول الله ، أى الأعمال أفضل ؟

قال : « الايمان بالله والجهاد فى سبيله » •

والجهاد فى سبيل الله أوسع وأعم من أن يقتصر على الجهاد الحربى • ان من أنواع الجهاد فى سبيل الله ، جهاد النفس حتى تستقيم على التوبة ، وجهادها على العموم حتى تتزكى من بعد التوبة •

« قد أفلح من زكاها » (١) •

« ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه » (٢) •

وجهاد الأسرة حتى تستقيم على أمر الله •

والله سبحانه وتعالى يقول :

---

(١) الشمس : ٩

(٢) فاطر : ١٨

Marfat.com

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (١) •

وكان سيدنا اسماعيل عليه السلام يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا •

ولا يعفى جهاد النفس وجهاد الأسرة عن جهاد المجتمع •

وكل ذلك أنواع متناسقة من ميدان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •

وهو مبدأ أساسى فى الدين الاسلامى ، ولأجل أن يبين الله سبحانه وتعالى أهميته الكبرى ، ذكره قبل الايمان بالله ، مبينا أنه مناط خيرية الأمة الاسلامية فقال سبحانه :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » •

وعلى العكس من ذلك اليهود فقد :

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » •

ولقد بين الاسلام وسائل الجهاد بحسب الظروف والملابسات ، وبحسب الامكانيات والاحتمالات •

---

(١) التحريم : ٦

Marfat.com

عن أبى مسعود رضى الله عنه ــ فيما رواه الامام مسلم ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره » •

ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون •

فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن •

ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن •

ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن • ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » •

وصور رسول الله صلى الله عليه وسلم المجتمع ووجوب الأخذ على يد المفسد فيه ــ حتى لا يكون الهلاك ــ بالصورة الرائعة التالية التى رواها الامام البخارى عن النعمان بن بشير عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

« مثل القائم فى حدود الله ، والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة . فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من المـــاء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » •

وروى الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« والذى نفسى بيـــده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقـــابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لـــكم » •

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

«أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » •

وان الله سبحانه وتعـــالى لا يخلى الأرض من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، فقد جاء فى الصحيحين :

« لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله ، وهم كذلك » •

أما الجهاد فيكفى ـــ لبيان أنه من طبيعة الاســـلام ـــ أن نذكر فيه حديثين ، أو ثلاثة ، وأن نذكر فيه آيتين من القرآن أو ثلاثا •

ونبدأ فى ذلك بما رواه الامام مسلم •

Marfat.com

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق » •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ــ فيما رواه الترمذى ــ قال :

« مر رجل من أصحاب رسول الله ؛ صلى الله عليه وسلم ؛ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته فقال :

لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

فذكر ذلك لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم •

فقال : لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟

أغزوا فى سبيل الله ، من قاتل فى سبيل الله فواق ناقه ، وجبت له الجنة •

وروى أبو داود باسناد جيد ، عن أبى أمامة رضى الله عنه :

أن رجلا قال يا رسول الله ائذن لى فى السياحة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

«ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله عز وجل » •

Marfat.com

والقرآن يربط الجهاد بالايمان بحيث لا يتأتى أن يوجد الايمان الصادق الا والجهاد من عناصره ، لقـد اشترى الله ـ فى عقـد الايمان ـ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والأنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

الجهاد تجارة مع الله :

« ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفـر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم » .

والجهاد داخل فى صدق الايمان :

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » .

ان الجهاد بأوسع معانيه انما هو الخطوة الأولى بعد التوبة .

Marfat.com

حياة الأنبياء والشـــهداء بعد الموت

ان الصلاة فى ترتيب الرحلة المباركة يأتى رمزها بعد رمز الجهاد مباشرة ، ولكننا مراعاة لمـــا بين هذا الموضوع وما قبله نذكره هنا ثم نعود للترتيب الطبيعى فى الرحلة المباركة •

روى الامام مسلم بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أتيت ــ وفى رواية هداب : مررت ــ على موسى ليـــلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصـــلى فى قبره » •

وأخرج الامام مسلم أيضا بعدة طرق عن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : مررت على موسى وهو يصلى فى قبره » •

وقد أخرج الامام مســـلم فى الصحيح من حديث عبد العزيز ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« ••• وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء » •

فاذا موسى قائم يصلى ، فاذا رجل ضرب (١) جعـــد كأنه من رجال شنوءة (٢) ، واذا عيسى بن مريم قائم يصلى ، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى •

---

(١) الضرب من الرجال هو الخفيف اللحم •
(٢) شنوءة : قبيلة من قبائل العرب •

Marfat.com

وإذا ابراهيم قائم يصلى ، أشبه الناس به صاحبكم ـ يعنى نفسه ـ فحانت الصلاة ، فأمتهم ...

ولقد وردت السنة الصحيحة بأن أجسام الأنبياء لا تأكلها الأرض ، أى أنها لا تبلى • فقد أخرج الامام أحمد باسناده عن أوس بن أوس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فان صلاتكم معروضة على ، قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ـ يريدون بليت ـ فقال : ان الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء ـ عليهم السلام •

هذا الحديث أخرجه أيضا الحاكم وصححه النووى ويقول البيهقى عنه : أخرجه أبو داود السجستانى فى كتاب السنن وله شواهد •

ثم يروى ـ من هذه الشواهد ـ باسناده عن أبى مسعود الأنصارى ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« أكثروا من الصلاة على فى يوم الجمعة ، فانه ليس أحد يصلى على يوم الجمعة الا عرضت على صلاته » •

وروى البيهقى ـ من هذه الشواهد أيضا ـ باسناده عن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« أكثروا على من الصلاة فى كل يوم جمعة ، فان صلاة أمتى

Marfat.com

تعرض على فى كل يوم جمعة ، فمن أكثرهم على صلاة : كان أقربهم منى منزلة » •

وسواء كان الانسان بجوار الضريح الشريف أم كان بعيدا عنه فان صلاته تبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم • فلقد أخرج البيهقى فى شعب الايمان ، والأصبهانى فى الترغيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« من صلى على عنـد قبرى سمعته ومن صلى على نائبا بلغته »

ومن هذا القبيل ما أخرجه الامام البخارى فى تاريخه عن عمار قال : سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول :

« ان لله تعالى ملكا أعطاه أسماع الخلائق ، قائم على قبرى ، فما من أحد يصلى على صلاة الا بلغتها » •

ولقد أثبت الأمام القشيرى حياة الأنبياء بعدة طـرق ، وأورد أحاديث فى ذلك ، نذكر منهـا حديث عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

« ان لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى عن أمتى السلام »•

ويقول الامام القشيرى تعليقا على هذا الحديث : ولا يبلغ السلام الا ويكون حيا •

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ـ فيمـا رواه ابن ماجه باسناد جيد ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« أكثروا من الصـــلاة على يوم الجمعة • فانه مشهود : تشهده الملائكة ، وان أحـــدا لن يصلى على الا عرضت على صـــلاته حتى يفرغ منها » •

قال أبو الدرداء ، قلت : وبعـــد الموت ؟ قال : ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام •

ان الأنبيـــاء أحياء فى قبورهم بشـــهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لموسى عليه السلام ، وبرؤيته للأنبياء ، وحديثه معهم ، وصلاته بهم •

أما الصلاة التى كانوا يصلونها ، فانها لم تكن فرضا وتكليفا ، وانما كانت شكرا وحمدا لله على نعمه ، وليس فى الآخرة تكليف ؛ وان كان فيها أيضا ترق روحى لا ينتهى ؛ لأن المدد الالهى لا ينتهى ولكل درجة من درجات هذا المدد شعور بالحمـــد والثناء على الله والشكر لله ، يتناسب مع درجته ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« دعواهم فيهـــا سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها ســـلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » •

وقد يتساءل انســـان عن هذه الحياة بعد الموت • أهى خاصـــة بالأنبياء ؟ •

ونقول : ان القرآن الكريم يثبتها فى يقين جازم للشهداء ، يقول تعـــالى :

Marfat.com

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » •

وبمناسبة هذه الآية روى الترمذى وحسنه ، وابن ماجه باسناد حسن أيضا ، والحاكم وقال صحيح الاسناد : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لما رأى جابر بن عبد الله مهتما لاستشهاد أبيه فى غزوة أحد ، قال له مطمئنا مبشرا : ألا أخبرك ما قاله الله لأبيك ؟

فقال جابر : بلى ؛ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم أباك كفاحا » والكفاح : المواجهة قال : سلنى أعطك • قال أسألك أن أرد الى الدنيا فأقتل فيك ثانية • فقال الرب عز وجل : انه قد سبق منى القول : « بأنهم اليها لا يرجعون » قال : أى رب فأبلغ من ورائى أى أبلغهم هذه النعمة الكبرى فى الجنة التى يتقلب فيها الشهيد ، فأنزل الله تعالى :

« و لاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » •

وقالى تعالى :

« ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » •

ويقول الامام القشيرى : « فأخبر سبحانه أن الشهداء أحياء

Marfat.com

عند ربهم ، فالأنبيـاء أولى بذلك لتقاصر رتبـة الكافة عن درجـة النبوة » •

قال الله تعـالى :

« فأولئـك مع الذين أنعـم الله عليهم من النبيين والصـديقين والشـهداء » •

فرتبة الشهادة ثالث درجة النبوة ، ولقد وردت الأخبار الصحيحة، والآثار المروية بما يدل على هذه الجملة •

وبمناسبة الآيات القرآنية الشريفة عن الشهداء يقول ابن القيم : ان الله تعالى عزى نبيه وأوليـاءه من قتـل منهم فى سبيله أحسن تعزية وألطفها وأدعاها الى الرضا بما قضاه لهم بقوله : «ولاتحسبن» الآيات • فجمع لهم الى الحياة الدائمـة ، منزلة القرب منه ، وأنهم أحياء عنده،وجريان الرزق المستمر عليهم،وفرحهم بما آتاهم من فضله، وهو فوق الرضا ، بل هو كمال الرضـا ، واستبشارهم باخوانهم الذين باجتماعهم بهم يتم سرورهم ونعيمهم ، واستبشـارهم بمـا يجدد لهم كل وقت من نعمته وكرامته » اهـ •

ولقد أخرج أحمد وعبدبن حميد فى مسنديهما ، والطيرانى بسند حسن عن محمود بن لبيد عن ابن عباس مرفوعا : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج اليهم رزقهم من الجنـة غـدوة وعشية » •

وفى حياة الأنبياء والشهداء يقول القرطبى :

Marfat.com

« الموت ليس بعدم محض ، وانما هو انتقال من حال الى حال ، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء فى الدنيا ، واذا كان هذا فى الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى ، وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وانه صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الاسراء فى بيت المقدس ، وفى السماء ، ورأى موسى عليه السلام قائما يصلى فى قبره : وأخبره بأنه يرد السلام على كل من سلم عليه ، الى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع ، بأن موت الأنبياء انما هو راجع الى أنهم غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وان كانوا موجودين أحياء ، وذلك كالحال فى الملائكة فانهم موجودون ولا يراهم أحد من نوعنا الا من خصه الله بكرامته من أوليائه » انتهى .

والفقهاء يتحدثون عن الشهداء فى استفاضة ، ومما أثاروه بهذه المناسبة ، مسألة سؤال القبر بالنسبة للشهيد ، ولقد أفتى الامام السيوطى بأن سؤال القبر ليس عاما للخلق :بل يستثنى منه الشهيد ، ففى الحديث :

« أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل أيفتن الشهيد فى قبره ؟ فقال : كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » .

قال القرطبى : فى التذكرة نقلا عن الحكيم الترمذى : معناه أنه لو كان عنده نفاق فر عند التقاء الزحفين وبريق السيوف ، لأن من شأن المنافق الفرار عند ذلك ، وشأن المؤمن البذل والتسليم لله ،

Marfat.com

فلما ظهر صدق ضميره حيث برز للحرب والقتل لم يعد عليه السؤال فى القبر الموضوع لامتحان المسلم الخالص من المنافق .

قال القرطبى : واذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق من باب أولى لأنه أجل قدرا ، وممن يستثنى : المرابط فقد ورد فيه أحاديث ، والمطعون ، والصابر فى بلد الطعن محتسبا حتى مات بغير الطاعون — صرح به الحافظ بن حجر فى كتاب : « بذل الماعون » .

ولعل هذه الحياة البرزخيـة ليست للأنبياء والشهداء فحسب ، وانما هى لجميع الناس حتى الكفار منهم ، على أن القرآن والسـنة يشيران الى حياة الكفار بعد الموت قبل القيامة يقول تعالى عن آل فرعـون :

« النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشـد العذاب » .

ولا ريب فى أن النار التى يعرضون عليها ليست نار يوم القيامة . فما فى القيامة غدو وعشى ، وما فيها شروق وغروب . ثم أن العطف يقتضى المغايرة ، ومنطوق الآية : ان آل فرعون يعرضون على النار فى الصباح وفى المساء ، يرون مكانهم فيها ومصيرهم الذى سيصيرون اليه ، حتى اذا كان يوم القيامة نادى مناد آمرا : « أدخلوا آل فرعون أشـد العذاب ، أدخلوهم بعد أن كانوا يعرضون غدوا وعشـيا ، أدخلوهم الى اقامة مستمرة .

على أن حادثة أصحاب القليب معروفة مشهورة ، رواها الامام

Marfat.com

البخارى بعدة روايات • ورواها غيره بعدة روايات أيضا ؛ من هذه الروايات الرواية الآتيــة عن البخارى : حدثنا عبدالله بن محمد ، سمع روح بن عبادة ، حدثنا سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنس بن مالك ، عن أبى طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فى طوى من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان اذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة ليال ، فلما كان ببــدر اليوم الثــالث أمر براحلة فشد عليها رحلها ، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا : ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركى فجعل ينــاديهم بأسمائهم وأســماء آبائهم : يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ، يسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله ؟

فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟

فقال عمر : يا رسول الله من تكلم من أجساد لا أرواح فيها ؟

فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

« والذى نفس محمد بيده ، ما أنتم بأسمع لمــا أقول منهم »

هــذه الروايات كلها تتكاتف وتتســاند ، مع الأحاديث التى رويت فى عذاب القبر ، ونعيمه ، والتى تخبر أن القبر اما روضــة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، فتدل بمجموعها على أن كل انســان اذا فارق الدنيا ، فانما انتقل من طور الى طور ، وانه اذا كان الجسم سيبلى فان الروح ــ مركز الشعور والاحســاس والفكر ــ باقية تحس وتشعر وتفكر •

Marfat.com

وعن المؤمنين عامة يحسن أن نورد القصة التالية :

أخرج البيهقى فى البعث ، والطبرانى بسند حسن ، عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك قال : لمـــا حضرت كعبا الوفاة آتته أم بشر بنت البراء ، فقـــالت : يا أبا عبد الرحمن ، ان لقيت بشرا فأقرئه منى السلام ، فقال لها : يغفر الله لك يا أم بشر ، نحن أشغل من ذلك فقالت : أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ان نسمة المؤمن تسرح فى الجنة حيث شاءت ، ونسمة الكافر فى سجين ؟ قال بلى ، قالت : فهو ذاك » .

أما الحديث الذى صححه أبو محمد عبد الحق ، فهو ما رواه ابن عبد البر فى الاستذكار والتمهيد من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيســـلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام » .

ولعل السؤال الملح فيما نحن بصدده هو :

ما نوع هذه الحياة التى يحياها الأنبياء والشهداء ، وغيرهم ؟

ومن أجل الاجابة على هذا السؤال نورد ما ذكره ابن القيم بهذا الصدد فى كتابه النفيس « الروح » .

إن الله سبحانة وتعالى جعـــل الدور ثلاثة : دار الدنيـــا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ، وجعل لكل دار أحكاما تختص بها ، وركب هذا الانسان من بدن ونفس وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان ،

Marfat.com

والأرواح تبع لها ، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح ، وان آضمرت النفوس خلافه ؛ وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها ، فكما تبعت الأرواح الأبدان فى أحكام الدنيا ، فتألمت بألمها ، والتذت براحتها ، وكانت هى التى باشرت أسباب النعيم والعذاب — تبعت الأبدان الأرواح فى أحكام دار البرزخ فى نعيمها وعذابها ، والأرواح حينئذ هى التى تباشر العذاب والنعيم ، فالأبدان (١) ظاهر والأرواح خفية ، والأبدان كالقبور لها ، والأرواح هناك (٢) ظاهرة والأبدان خفية فى قبورها ، فتجرى أحكام البرزخ على الأرواح ، فتسرى الى أبدانها نعيما وعذابا ، كما تجرى أحكام الدنيا على الأبدان ، فتسرى الى أورواحها نعيما وعذابا ، فأحط بهذا الموضوع علما واعرفه كما ينبغى ، يزل عنك كل أشكال يورد عليك من داخل وخارج • وقد أرانا الله سبحانه ، بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك ، أنموذجا فى الدنيا من حال النائم ، فان ما ينعم به أو يعذب فى نومه • يجرى على ... حه أصلا ، والبدن تبع له • وقد يقوى حتى يؤثر فى البدن تأثيرا مشاهدا ، فيرى النائم أنه فى نومه ضرب ، فيصبح وآثار الضرب فى جسمه ، ويرى أنه قد أكل وشرب ، فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب فى فيه ، ويذهب عنه الجوع والظمأ وأعجب من ذلك أنك ترى النائم ، يقوم من نومه ، ويضرب ويبطش

---

(١) فى دار الدنيا .

(٢) فى دار البرزخ .

Marfat.com

ويدافع كأنه يقظان ، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك • لأن الحكم لما جرى على الروح ، استعانت بالبدن من خارجه ، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس ، فاذا كانت الروح تتألم وتتنعم ، ويصل ذلك الى بدنها بطريق الاستتباع فهكذا فى البرزخ ، بل أعظم • فان تجرد الروح هناك أكمل وأقوى ، وهى متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع ، فاذا كان يوم حشر الأجساد ، وقيام الناس من قبورهم صار الحكم بالنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهرا باديا ، ومتى أعطيت هذا الوضع حقه تبين لك آن ما أخبر به الرسول من عذاب القبر ونعيمه ، وضيقه وسعته وضمه ، وكونه حفرة من حفر النار ، أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل وأنه حق لا مرية فيه ، وأن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه • وقلة علمه •• انتهى •

أما بعد : فانا نختم هذا البحث بكلمة يقولها حجة الاسلام الأمام الغزالى : عن تجربة شخصية يؤيد ما هو واضح من بدهيات الجو الاسلامى فى هذا الموضوع وهى كلمة تعبر عن رأى جميع الصوفية وجميع فلاسفة الاشراق :

« ومن أول الطريق تبتدىء المكاشفات والمشاهدات ، حتى انهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة • وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد » •

ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال الى درجات يضيق عنها نطاق النطق •

٣

الصلاة

ثم أتى رسـول الله صلى الله عليه وسـلم : على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر وكلما رضخت عادت كما كانت • لا يفتر عنهم من ذلك شيء •

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة •

أتى دور الفروض الدينية ، وبدأت هـذه الفروض بالصلاة •

والصـلاة هى الركن الثانى فى الاسلام ، ان منزلتهـا ومنزلة عداها ، انما يأتى بعد الايمان بالله وبرسوله •

أتى دور الفروض الدينية ، وان لم تكن قد فرضت بعد : ذلك ان الرحلة المباركة ترسم المـاضى والحاضر والمسـتقبل انها ترسم الحياة الاسـلامية ، فى جميع أدوارها الزمنية فى جانب العقيـدة والأخلاق منها •

والصلاة فى الوضع الاسلامى عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، مثلها فى حياة المسلم كمثل نهـر

جار غمر (١) على باب أحدكم ــ على حد تعبير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ــ يغتسل منه كل يوم خمس مرات .

وعن عبد الله بن قرط رضى الله عنه قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد سائر عمله » (٢) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، انما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد » (٣) .

وسنتحدث ان شاء الله عن الصلاة فيما بعد فنبين أهميتها الكبرى فى الوضع الاسلامى ، ولكنا قبل أن نفرغ الى الزكاة نقول : ان الرسول صلى الله عليه وسلم رأى يوما فيما يراه النائم تمثيلا لتارك الصلاة يشبه التمثيل الذى تقدم : يقول صلوات الله وسلامه عليه :

... فانطلقت فمررت على ملك وأمامه آدمى ، وبيد الملك

---

(١) الغمر هو الكثير الماء .
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط ، وقال لاباس باسناده ان شاء الله .
(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير .. وقال تفرد به الحسين ابن الحكم الحبرى .

Marfat.com

صخرة يضرب بها هامة الآدمى ، فيقع دماغه جانبا ، وتقع الصخرة جانبا .

ولما سأل صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، قيل له :

أولئك الذين كانوا ينامون عن صلاة العشاء الآخرة ، ويصلون الصلاة لغير مواقيتها فهم يعذبون بها حتى يصيروا الى النار » .

وقبل أن نفرغ الى الزكاة أيضا نذكر ما يلى :

بقول الامام القشيرى :

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رضى الله عنه يقول :

ان نبينا عليه السلام أتى للأمة بالمعراج على التحقيق ، فان الصلاة لنا بمنزلة المعراج .

وقد كان المعراج له عليه السلام ثلاث منازل ، من الحرم الى المسجد الأقصى ثم من المسجد الأقصى الى سدرة المنتهى ، ثم منها الى قاب قوسين أو أدنى .

فكذلك لنا الصلاة ثلاث منازل : القيام ، ثم الركوع ، ثم السجود ، وهو نهاية القربة .

قال الله تعالى :

« واسجد واقترب » (١) .

---

(١) العلق : ١٩

Marfat.com

٤

الزكاة

وتأتى الزكاة بعد الصلاة فى ترتيب منهج الحياة الذى نحن بصدده•

لقد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم : على قوم على أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح الأنعـام ، يأكلون الضريع ، والزقوم ، ورضف جهنم •

فقال : ما هؤلاء ؟

فقال جبريل عليه السلام : هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله ، وما ربك بظلام للعبيد •

والزكاة هى الركن الثالث من أركان الاسلام ، ولقـد حارب عليها سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ، وذلك أنه حينما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، قال بعض القبائل من الأعراب :

انا نشـهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وسنستمر نؤدى الصلاة ، ونصوم رمضان ، ونحج ، أما الزكاة فانها مادة ومال ولا شأن للدين بذلك وأعلنوا الامتناع عن أدائها •

Marfat.com

وكان هذا أول تفكير منحرف من ــ بعض المسلمين ــ فى الاسلام يهدف الى فصــل الدين عن الدنيا أو المــادة أو بالتعبير الحديث يهدف الى فصل الدين عن الدولة ، فقال سيدنا أبوبكر رضى الله عنه سأحاربكم •

انه يحارب من أراد فصــل الدين عن الدولة ، فقيــل له : كيف تحارب من يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ؟

فكانت اجابته :

أن الشهادتين لهما حقوق اذا امتنع انسان عن أدائها فانه يحارب عليها •

وأن من حقوق الشهادتين أداء الزكاة •

روى الامام البخــارى رضى الله عنــه عن أبى هريرة نضر الله وجهه قال :

« لمــا توفى رسول الله صلى الله عليه وســلم ، وكان أبو بكر ، رضى الله عنه وكفر من كفر من العــرب ــ بسبب عــدم اخراجهم للزكاة ، وامتناعهم عن تأديتها ــ فقــال عمر ، رضى الله عنه : كيف نقاتل الناس ، وقد قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قالهــا فقد عصم منى ماله ونفسه وحسابه على الله » ؟

فقــال : والله لأقاتلن من فريق بين الصــلاة والزكاة ، فان الزكاة

حق المـــال ؛ والله لو منعونى عناقا (١) كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها •

قال عمر رضى الله عنه : « فو الله ما هو الا أن شرح الله صـــدر أبى بكر رضى الله عنه فعرفت أنه الحق » •

من هذا الحديث الشريف نعلم ، أن مانع الزكاة بهذا الوضع ، وعلى هذه الصورة كافر ، وأنه يحارب حتى يؤديها والا قتل •

وقد حارب سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ما نعى الزكاة ، لأنه رأى أن الامتناع عن الزكاة ــ انـكارا لها ــ ارتـداد عن الاســلام ، ولم ينفعهم ــ فيما رأى سـيدنا أبو بكر ، وفيما رأى الصـــحابة معه ــ صلاة أو صيام ، أو غير ذلك من الشـعائر الاسلامية ، ذلك أن الزكاة : ركن من أركان الاســلام ، والامتنـاع عن أدائهـا ، انما هو هدم لركن من أركان الدين •

انها الركن الثالث ، يدفعهـا من تجب عليه لمستحقيها ، « ليحيى بها نفوسا ، ويشبع بها بطونا ، ويمسـح بهـا دموعا ، ويزيل بهـا آلاما ، وينال بها ثوابا وأجرا من الله تعالى » •

وما من شك فى أن الزكاة رابطة بين الانسان وربه ، انها رابطـة رضوان من الله ، وأجر وثواب ، ونماء وبركة •

ورابطة شـكر من الانسان لله تعـالى ، على ما أنعم به وتفضل وأحسن وأكرم •

---

(١) اى شاة صغيرة ، وفى رواية اخرى (عقالا) والمقصود أى شىء ولو كان يسيرا .

Marfat.com

وهى من ناحية أخرى : رابطة بين الانسان وأفراد المجتمع الذى يعيش فيه •

رابطة مودة وتعاطف وتراحم •

وقد أنذر الله تعالى الممتنع عن أدائها وتوعده بعذاب أليم •

أما الذى يؤديها فقد ذكره الله سبحانه وتعالى ، فيمن رضى الله عنهم ، وأجزل لهم ثوابه ، يقول سبحانه :

« فأنذرتكم نارا تلظى • لا يصلاها الا الأشقى • الذى كذب وتولى • وسيجنبها الأتقى • الذى يؤتى ماله يتزكى • وما لأحد عنده من نعمة تجزى • الا ابتغاء وجه ربه الأعلى • ولسوف يرضى » (١) •

ويقول سبحانه :

« ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير • » (٢) •

الصدقة

ويجوار الزكاة يحسن الحديث عن الصدقة وسواء كنا بصدد الزكاة ، أو بصدد الصدقة فان الله سبحانه وتعالى يقول :

« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت

---

(١) سورة الليل : ١٤/٢١ (٢) سورة آل عمران : ١٨٠

سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة . والله يضاعف لمن يشـــاء والله واسع عليم » (١) •

ويقول سبحانه :

« فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحســـنى • فسنيسره للعسرى • وما يغنى عنه ماله اذا تردى » (٢) •

ويقول سبحانه :

« وما انفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » •

لقد رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، صورة الممتنعين عن الزكاة ورأى أيضا ــ فيما يراه النائم ــ صورة آكلى الربا ، ورأينا أن تتحدث عن الربا ، بعد الحديث عن الزكاة والصـــدقة مباشرة لما بينهما من فرق ؟ هو الفرق بين الخير والشر •

٥

الربا

فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم : نهرا من الدم يفور كفوران المراجل ، وعلى حافتى النهر ملائكة بأيديهم نار ، كلما طلع طالع قذفوه بها فتقع فى فيه فيشتعل الى أسفل ذلك النهر • فلما سأل رسول الله صلى الله عليه وســـلم عنهم قيل له : أولئك الذين أكلوا الربا ، فهم يعذبون بها ، حتى يصيروا الى النار •

(١) سورة البقرة : ٢٦١ (٢) سورة الليل : ٥/١١

أما فى رحلة الاسراء والمعراج فانه صلى الله عليه وسلم مر بقوم بطونهم أمثال البيوت ، كلما نهض أحدهم خر على الأرض ، فلما سأل عنهم جبريل ، قال : هم أكلة الربا •

وللصورة البشعة للربا آذن الله سبحانه المتعاملين به بالحرب ، لقد آذن الله بالحرب صنفين من الناس :

١ ــ آكلة الربا •

٢ ــ المعادون لأولياء الله •

أعلن الحرب على آكلة الربا فى القرآن الكريم :

« فأذنوا بحرب من الله ورسوله » (١) •

وأعلن الحرب على من عادى الأولياء ، فى الحديث القدسى الذى رواه الامام البخارى :

« من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » •

ورمز المرابى فى ليلة الاسراء ، رجل يسبح فى بحر من الدم ، ويلقى فى فمه قطع من النار يبتلعها : انه يسبح فى الدماء التى امتصها ممن تعامل معهم وما أخذ من قطع النقود تلتهب نارا تصير فى جوفه تحترق وتشتعل فيها •

ولا ريب أن الطرف المعارض للصدقة وللزكاة ، الطرف الذى يبغضه الله ، و يبغض المتعاملين به ، هو الربا •

ولقد حارب الاسلام الربا حربا لا هوادة فيها ، حاربه لأنه مبدأ ليس بانسانى ، واستعمل فى محاربته من التعبير أقساه •

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٩

Marfat.com

لقد حاربه فى جملته وتفصيله ، يقول الله تعالى :

« الذين يأكلون الربا ، لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » (١) •

والمتعاملون بالربا :

« أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » •

والله سبحانه وتعالى يقول :

« يمحق الله الربا ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم » (٢) •

ولكنه سبحانه وتعالى يفتح للمتعاملين بالربا أبواب توبته :

يقول تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اتقو الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » (٣) •

ومما لا شك فيه أن الربا ــ على أية صورة من صوره ــ يتعارض مع الروح الدينية العامة التى هى الرحمة والتعاون •

ونذكر فى نهاية الحديث عن الصدقة والربا والزكاة :

« وأنفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، وأحسنوا

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٥
(٢) سورة البقرة : ٢٧٦
(٣) سورة البقرة : ٢٦٨ : ٢٨١/٢٦٨

ان الله يحب المحسنين » (١) •

وفى هذه الآية الكريمة يشير الله سبحانه الى أن الشح والبخل وعدم الانفاق فى سبيل الله انما هو القاء بالنفس الى التهلكة •

ويقول سبحانه :

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير » (٢) •

وفى هذه الآية الكريمة يرشد الله سبحانه وتعالى الى أن أصحاب الأموال قد استخلفهم الله سبحانه وتعالى فى ماله هو ، وأنهم مجرد مستخلفين ، وهذا يشير الى أنهم اذا أساءوا فانه يرفع استخلافهم على المال فيصبحوا ولا مال لهم •

ويقول سبحانه :

« من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ، وله أجر كريم (٣) •

انه سبحانه وتعالى يضاعفه له فى الحياة الدنيا •

ثم يجزل له الأجر :

« يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم » (٤) •

---

(١) سورة البقرة : ١٩٥
(٢) سورة الحديد : ٧
(٣) سورة الحديد : ١١
(٤) سورة الحديد : ١٢

Marfat.com

٦

الثبات على العقيدة

نقلتنا هذه الرحلة المباركة من التوبة الى الجهاد مباشرة ، ثم كانت الصلاة والزكاة ممثلتين لبقية فروض العبادة •

وقد تحدثت الرحلة عن أنواع من الآثام باعتبارها ممثلة لما عداها وأن الله سبحانه يحاسب عليها وعلى غيرها من المعاصى اذا لم يبادر الانسان بالتوبة الخالصة النصوح •

وقبل أن نبدأ فى ذكر هذه الآثام نتحدث عن قوة الايمان وثبات المؤمنين ، والتمسك بالعقيدة ، حتى ولو أدى ذلك الى الموت على أية كيفية •

ان الشهداء من أجل عقيدتهم لهم رائحة زكية تستمر حتى يوم القيامة ، وان الرائحة الزكية التى تنبعث من الاماكن التى استشهدوا فيها والأماكن التى وقفوا فيها ، لتدل دلالة واضحة على أنهم فى رياض الجنة محاطين بروح من نسماته ومن رحمته (١) •

لقد شم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى مسراه رائحة طيبة• فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها •

---

(١) اقتباس من الآية الكريمة ١٢ سورة الحديد

أما قصتهم فاننا نرويها على نحو غير السابق فى بعض تفاصيله وان كان الجوهر واحدا •

لقد شم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الرائحة الطيبة تسأل عنها جبريل فأخبره أنها رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها بينما تمشط بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها •

فقالت : بسم الله تعس فرعون •

فقالت ابنة فرعون : أو لك رب غير أبى ؟

قالت : نعم •

قالت : فأخبر بذلك أبى ؟

قالت : نعم •

فأخبرته : فدعاها فقال : أو لك رب غيرى ؟

قالت : نعم ربى وربك الله ، وكان للمرأة زوج وثلاثة أولاد ، أصغرهم رضيع ، فأرسل اليهم فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فأبيا •

فقال : انى قاتلكما •

قالت : احسانا منك الينا ان قتلتنا أن تجعلنا فى مكان واحد فتدفننا جميعا •

فقال : ذلك لك بما لك علينا من الحق ••

فأمر ببقرة من نحاس فأحميت بزيت ثم أمر بهم فألقوا فيها واحد بعد واحد حتى بلغ الرضيع ، وكانت أمه تحمله ولشفقتها عليه تلكأت وكادت ترجع لموافقة فرعون •

Marfat.com

فقال : يا أمه قعى ولا تقاعسى فانك على الحق •
فكان هذا الرضيع ممن تكلموا فى المهد خرقا المعادة •
وان لنا فى تاريخنا الاسلامى مواقف مشهورة مشهودة ، وقف فيها الصحابة رضوان الله عليهم مواقف من لا يبالى على أى جنب كان فى الله مصرعه •
ففى غزوة بدر استشار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الصحابة فى الجهاد ، فقام المقداد بن عمرو ، رضى الله عنه ، وكان من المهاجرين فقال :
«يا رسول الله امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنوا اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد (١) لجالدنا معك دونه حتى تبلغه » •
وقام سعد بن معاذ رضى الله عنه : وكان من الأنصار فسأل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم عما اذا كان يعنى الأنصار باستشارته هذه فلما أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالايجاب قال :
لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فو الذى بعثك بالحق لو

---

(١) مكان باليمن .

Marfat.com

استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوا غدا ، انا لصبر فى الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » .

٧

الرموز الخاصة باللسان

يقول العرب : « مقتل الرجل بين فكيه » .

ومن المعروف أنه مما يكب الناس على وجوههم فى جهنم انما هى حصائد ألسنتهم ..

ونفد حذر الله سبحانه فى كثير من آى القرآن من آثام اللسان ، وحذر رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، فى كثير من الأحاديث النبوية من آثام اللسان .

يقول الله سبحانه وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولاتلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » (١) .

ويصور القرآن مثل المغتاب فى صورة بالغة البشاعة .

---

(١) سورة الحجرات : ١٠

يقول تعالى :

« ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم » (١) .

فقد مثل الله سبحانه الاغتياب :

بأكل لحم الانسان .

وجعل المأكول أخا .

وجعل الأخ ميتا .

وعقب على ذلك بقوله : « فكرهتموه » .

ولقد نالت آثام اللسان فى رحلة الاسراء قدرا موفورا من التشبيه والتمثيل :

١ ــ لقد أتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على قوم تقرض ألسنتهم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت ، لا يفتر عنهم من ذلك شىء . !

قال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هؤلاء خطباء الفتنة ، خطباء أمتك يقولون بما لا يفعلون .

٢ ــ وأتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع ! .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال: هذا مثل الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ، ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها .

---

(١) سورة الحجرات : ١٢

٣ ــ ورأى قوما أظفارهم من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم •

فقال : من هؤلاء ياجبريل ؟

قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم •

٤ ــ ورأى قوما تقطع لحومهم من جنوبهم ، وتطعم لهم كرها •

فقال : من هؤلاء ياجبريل ؟

قال : هؤلاء : مثل الغمازين واللمازين •

٥ ــ وفى احدى رؤاه صلى الله عليه وسلم ، رأى ملكا وبين يديه آدمى وبيد الملك كلوب من حديد : فيضعه فى شدقه الأيمن فيشقه حتى ينتهى الى أذنه ثم يأخذ فى الأيسر فيلتئم الأيمن •

فلما سأل جبريل عنه قال له :

أولئك الذين كانوا يمشون بين المؤمنين بالنميمة ، ليفرقوا بينهم ، فهم يعذبون بها حتى يصيروا الى النار •

٨

آثام الجوارح

والجريمة الكبرى ، الجريمة الأساسية انما هى الألحاد •

يقول سبحانه :

« قل : هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ؟

Marfat.com

الذين ضل سعيهم فى الحيـاة الدنيا ، وهم يحسـبون أنهم يحسنون صنعا • أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ، فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا •

ذلك جزاؤهم جهنـم بمـا كفروا واتخـذوا آياتى ورسـلى هزوا » (١) •

وقـد وضـع الله سبحانه وتعـالى للملحدين تمثيلا فى القرآن الكريم بين فيه العلل والأسباب وأوضح فيه النتائج وأسـفر عن الصورة صارخة ، واضحة ، لا يحجبها قناع •

يقول سبحانه :

« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنـا فانسلخ منهـا فاتبعـه الشيطان ، فكان من الغاوين • ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلـد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ، ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا » (٢) •

وجرائم الجوارح ذكر الله سبحانه وتعالى منها كثيرا فى قوله تعالى :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسـانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون •

---

(١) الكهف : ١٠٣/١٠٦

(٢) سورة الأعراف : ١٧٥/١٧٦

ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده • رأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون • وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (١) •

ولقد ذكرت الرحلة المباركة بعض الرموز التى تمثل آثام الجوارح ، ذكرت البعض ولم تذكر الكل ، وذلك أنها ما كانت بصدد الاحصاء والاستقصاء •

١ ــ من ذلك مثلا أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ، ولحم نىء فى قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النىء ويدعون النضيج •

فقال : ما هؤلاء ياجبريل ؟

قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح » •

والله سبحانه وتعالى يقول :

«الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (٢) •

---

(١) سورة الانعام : ١٥٢/١٥١

(٢) سورة النور : ٢

٢ — ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها ، وهو يزيد عليها .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس ، لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« لا ايمان لمن لا أمانة له » .

٣ — وفى حديث أبى سعيد أنه رأى أخونة عليها لحم طيب ليس عليها أحد ، وأخرى عليها لحم نتن عليها ناس يأكلون .

قال جبريل : هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام .

٤ — وأنه مر بقوم مشافرهم كالابل يلتقمون حجرا فيخرج من أسفلهم .

وان جبريل قال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما .

أما جزاء أصحاب الآثام اذا لم يتوبوا ، فهو دخولهم فى جهنم حيث العذاب ألوانا .

وعن جهنم تقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا صوت جهنم تقول :

رب آتنى بما وعدتنى فقد كثرت سلاسلى وأغلالى ، وسعيرى

Marfat.com

وحميمى ، وضريعى وغساقى ، وعذابى ، وقد بعد فمرى ، واشتد سرى ، فآتنى بما وعدتنى •

قال : لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب •

قالت : قد رضيت •

الوصول الى بيت المقدس

ووصل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس •

وفى رواية أنس عند مسلم :

ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام باناء من خمر ، واناء من لبن فاخترت اللبن •

فقال جبريل : اخترت الفطرة : أى اخترت اللبن الذى عليه بنيت الخلقة (١) •

وقال النووى المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة •

والخمر فى التعبير الاسلامى هى أم الخبائث ، وأخبر الله سبحانه وتعالى أنها رجس من عمل الشيطان ، وقد لعن الله شاربها وبائعها وحاملها والمحمولة اليه ولعن عاصرها والمتجر فيها على أى وضع كان •

والبيرة من أنواع الخمور « وكل ما أسكر كثيره فقليله حرام »

(١) انظر كتاب الانوار المحمدية ليوسف النبهانى •

Marfat.com

وفى رواية ابن مسعود نحوه ـ أى نحو رواية أنس السابقة ـ ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد • ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم •

وفى رواية أبى أمامة عند الطبرانى ، ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم •

عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى

ثم عرج صلى الله عليه وسلم الى السموات العلا فتجاوزها سماء حتى تجاوز الكون كله وكان عند سدره المنتهى عندها جنة المأوى : الجنة التى يأوى اليها المتقون من عباد الله ، وشم رسول لله صلى الله عليه وسلم ، ريحا طيبة باردة كريح المسك وسمع :

قال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا صوت الجنة : تقول رب آتنى ما وعدتنى به فقد كثرت غرفى واستبرقى ، وحريرى ، وسندسى ، وعبقرى ولؤلؤى ومرجانى ، وفضتى ، وذهبى ، واكوابى ، وصحافى ، وأباريقى ، ومراكبى ، وعسلى ، ومائى ، ولبنى ، وخمرى ، فآتنى ما وعدتنى !

قال : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بى وبرسلى ، وعمل صالحا ، ولم يشرك بى شيئا ، ولم يتخذ من دونى

أندادا ، ومن خشينى فهو آمن ، ومن سألنى فقد أعطيته ، ومن أقرضنى جازيته ومن توكل على كفيته ، اننى أنا الله لا اله الا أنا لا أخلف الميعاد ،قد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين •

قالت : قد رضيت •

١١

اذ يغشى السدرة ما يغشى

فى ابهام : « ما يغشى » من التفخيم مالا يخفى :

فكان الغاشى أمر لا يحيط به نطاق البيان ولا تسعة أردان الأذهان •

وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة ، وجواز أن يكون للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد •

وورد فى بعض الأخبار تعيين هذا الغاشى فعن الحسن :

غشيها نور رب العزة جل شأنه فاستنارت •

ونحوه ماروى عن أبى هريرة :

يغشاها نور الخلاق سبحانه (عن الألوسى) •

المشـــاهدة

يقول الله تعالى .

« ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » •

Marfat.com

ويقول الحديث الشريف : ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى •

ويقول الامام ابن حجر :

وقد أخرج الأموى فى مغازيه ومن طريق البيهقى عن محمد بن عمرو، وعن أبى سلمة عن ابن عباس فى قوله تعالى :

« ولقد رآه نزلة أخرى » •

قال : دنا منه ربه •

يقول الامام ابن حجر : وهذا سند حسن وهو شاهد قوى لرواية شريك ، ويكون المعنى على غرار « ينزل ربنا » •

بعد ذلك نسأل :

هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟

هل شاهد الجلال والجمال ؟

نقول أولا : ان الامام الصاوى ذكر بمناسبة تفسير قوله تعالى : « ومامنا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون ، وانا لنحن المسبحون » •

ان هذه الآيات حكاية عن اعتراف الملائكة بالعبودية ردا على عبدتهم ، والمعنى ليس منا أحد الا له مقام معلوم فى المعرفة ، والعبادة ، وامتثال ما يأمرنا الله تعالى به

قال ابن عباس : ما فى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى ويسبح ؛ ثم يقول :

قيل ان هذه الآيات الثلاث نزلت ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عند سدرة المنتهى ، فتأخر جبريل فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

أهنا تفارقنى ؟

فقال جبريل : ما أستطيع أن أتقدم من مكانى هذا .

وأنزل الله تعالى حكاية عن الملائكة :

« وما منا الا له مقام معلوم » .

ووقف جبريل واقترب محمد (صلى الله عليه وسلم) .

ويذكر الامام الصاوى فى قوله تعالى :

« ما كذب الفؤاد ما رأى » ان محمدا صلى الله عليه وسلم ، رأى مرتين : مرة فى مبادىء البعثة ، ومرة فى ليلة الاسراء ، واختلف فى الرؤية ، فقيل رآه بعينه(١) حقيقة ، وهو قول جمهور الصحابة ، بعين ، منهم ابن عباس ، وأنس بن مالك والحسن وغيره ، وعليه العارف البرعى :

وان قابلت لفظة : « لن ترانى »

بـ « ما كذب الفؤاد » فهمت معنى

---

(١) سيأتى فيما بعد (رآه على الوجه اللائق) وهذا يعنى : ان الرؤية ثابتة اما الكيفية فانها غير معروفة ومن المؤكد انه صلوات الله وسلامه عليه كان يشعر شعورا واضحا يقينيا انه فى حضرة الله تعالى : المحيط ، الذى ليس كمثله شىء ، اللطيف ، النور .

ولعل هذا الشعور هو المقصود بالمشاهدة وعلى ذلك فلا معنى للنقاش فى هذا الموضوع ونحن هنا انما روينا ما قيل وبالله التوفيق .

لموسى خـــر مغشـــيا عليـــه
وأحمـــــــد لم يكن ليزيغ ذهنـــا

وقيل لم يره بعينه ، وهو قول عائشة رضى الله عنها .

والصحيح الأول ، لأن المثبت مقدم على النافى ،أو لأن عائشة لم يبلغها حديث الرؤية لكونها كانت حديثة السن » اهـ .

لقد ذهب غير واحد فى قوله تعالى :

« ثم دنا فتدلى فكان قاب قوســين أو أدنى فأوحى الى عبــده ما أوحى » .

الى أنه فى أمر العروج الى الجناب الأقدس ودنوه سبحانه منــه صلى الله عليه وسلم ، ورؤيته عليه السلام ، اياه جل وعلا ، فالضمائر فى (دنا وتدلى) و (كان) و (أوحى) وكذا الضمير المنصوب فى (رآه) لله عز وجل .

ويشـــهد لهـــذا ما فى حديث أنس عن البخارى من طريق شريك ابن عبد الله .

ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء ســـدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوســـين أو أدنى فأوحى اليـــه فيما أوحى خمسين صـــلاة ... الحديث فانه ظاهر فيما ذكر .

واســـتدل بذلك مثبتو الرؤية كحبر الأمة ابن عباس رضى الله عنهما وغيره .

والظاهر أن ابن عباس لم يقل بالرؤية الا عن سماعها ، وقد أخرج عند أحمد أنه قال :

Marfat.com

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« رأيت ربى » (١) .

ذكره الشيخ محمد الصالحى الشاملى تلميذ الحافظ السيوطى فى الآيات البينات وصححه .

ثم ان القائلين بالرؤية اختلفوا ، فمنهم من قال : انه عليه الصلاة والسلام رأى ربه سبحانه بعينه ، وروى ذلك ابن مردويه عن ابن عباس ، وهو مروى أيضا عن ابن مسعود ، وأبى هريرة ، وأحمد ابن حنبل .

ومنهم من قال : رآه عز وجل بقلبه ، وروى ذلك عن أبى ذر .

يقول العلامة الطيبى : ــ فيما يرويه الامام الألوسى :

« ولا يخفى على كل ذى لب اباء مقام (فأوحى) الحمل على أن جبريل أوحى الى عبد الله (ما أوحى) اذ لا يذوق منه أرباب القلوب الا معنى المناغاة بين المتساويين مما يضيق عنه بساط الوهم ولا يطيقه نطاق الفهم ، وكلمة (ثم) على هذا للتراخى الرتبى ؛ والفرق بين الوحيين : أن أحدهما وحى بواسطة وتعليم ، والآخر بغير واسطة بجهة التكريم .

وعن جعفر الصادق عليه الرضا أنه قال لما قرب الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق سبحانه بغاية اللطف لأنه لا تتحمل غاية الهيبة الا بغاية اللطف ، وذلك قوله تعالى :

« فأوحى الى عبده ما أوحى » .

---

(١) انظر فى كل ذلك تفسير الامام الالوسى .

Marfat.com

أى كان ما كان ، وجرى ما جرى ، قال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب لحبيبه ، وتلطف به تلطف الحبيب بحبيبه ، وأسر اليه ما يسر الحبيب الى حبيبه فأخفيا ولم يطلعا على سرهما أحدا والى نحو هذا يشير ابن الفارض بقوله :

ولقـــد خلوت مع الحبيب وبيننا
سر أرق من النســـــيم اذا سرى

ومعظم الصوفية على هذا : فيقول بدنو الله عز وجل من النبى صلى الله عليه وسلم ، ودنوه سبحانه على الوجه اللائق •

وكذا يقولون بالرؤية كذلك •

وقال بعضهم فى قوله تعالى :

« ما زاغ البصر وما طغى » ما زاغ بصر النبى صـــلى الله عليـــه وسلم ؛ وما التفت الى الجنة ومزخرفاتها ولا الى الجحيم وزفراتها ، بل كان شاخصا الى الحق (وما طغى) عن الصراط المستقيم •

وقال أبو حفص الســهروردى : ما زاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر (وما طغى) لم يسبق البصيرة ويتعـــدى مقامه :

ونحن نقول كما يقول الامام الألوسى فى صراحة لا لبس فيها :

« أنا أقول برؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم ربه سبحانه ، وبدنوه منه ســبحانه على الوجه اللائق ، ذهبت فيما اقتضـــاه ظاهر النظم الجليل الى ما قاله صاحب الكشف ، أم ذهبت فيه الى ما قاله الطيبى فتأمل والله تعالى الموفق » •

ان كلمة « على الوجه اللائق » تفض كل نزاع والله أعلم •

Marfat.com

خاتمـــة

فى بعض آثار الاسراء والمعراج

ومن الثمار التى جنتها الأمة الاسلامية ، والتى كانت من مقاصد اذاعة النبأ :

انفعـــال ضـــعاف النفوس ، والشاكين والمترددين : انفعال كل هؤلاء عن الأمة الاسلامية الناشئة :

لقد كفر ــ عند سماع النبأ ــ من كفر بعـــد اسلامه وارتد من ارتد بعـــد ايمانه ، وما كان هؤلاء ، لو بقوا ، الا عاملا من عوامل الضـــعف أكثر من أن يكونوا عاملا من عوامل القوة ، ان هؤلاء المكيين الذين آمنوا وصبروا على الحوادث القاسية : على التعذيب وعلى الآلام ، وعلى الفتنـــة فى جميع مظاهرها ، ان هؤلاء المكيين الذين صـــبروا ، وصـــابروا وتخلصت أنفسهم من جميع النزعات المـــادية ، ومن جميع الأهواء ، فأصبحت خالصـــة لله وحده ، ان هؤلاء المكيين الذين كان فى تقـــدير الله سبحانه وتعالى : أن تقوم عليهم الدولة فى نشأتهـــا ، والذين من أجل ذلك يجب أن يكونوا مهيئين لأن يصمدوا لكل ما يمكن أن يعترضهم من عقبات تقول : ان هؤلاء المكيين يجب أن يصفوا تصفية تامة كاملة ومن وســـائل هذه التصفية : اذاعة نبأ الاسراء والمعراج :

لينتكس من ينتكس ، وليبقى من يبقى عن بصـــيرة وبينـــة ،

Marfat.com

وعن ايمان لا يتزعزع مهما كانت الحوادث ، ايمان يصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فى كل ما يأتى به ، يصدقه بمجرد انبائه •

والمثل الأعلى فى ذلك : انما هو سيدنا أبو بكر حينما يعلن فى غير تردد و لافتور :

« لئن كان قاله : فلقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ؟ فو الله انه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه » •

هذا الايمان المطلق بالرسول هو الذى جعله ، صلوات الله عليه وسلامه ، يطلق على أبى بكر ، رضوان الله عليه ، « الصديق » •

و « الصديقية » مرتبة من مراتب الايمان ، لا ينالها ، الا من جاهد نفسه جهادا تخطى به ايمان العامة ، وسما فى ايمانه درجة ، الى أن أصبح قائما بالله متجها اليه ، عاملا على مرضاته فى جميع ما يأتى وما يدع •

والأمة الاسلامية ، بأكملها ، مطلوب منها ، بالنسبة الى أخبار رسول الله ، صلوات الله عليه ، أن تكون على غرار الصديق ، رضوان الله عليه ، تلقى بقيادها الى اخباره وتسلم نفسها الى انبائه ، مصدقة تصديقا كاملا : تصديقا يحملها على العمل بما جاء به ، وعلى اتباع كل ما جاء به ، وعلى الانتهاء عن كل ما نهى عنه ، تصديقا ايجابيا يحقق للأمة الاسلامية المجد الذى ترجوه ، تصديقا ينفى عن وجودها ، هؤلاء الذين انحرفوا مع المنحرفين ، واستجابوا لنداء

Marfat.com

أعداء الاسلام • فأخذوا يشككون الناس فى أقوال الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؛ فى أحاديثه وفى سننه ، زاعمين أنهم من المجددين وما هم فى الواقع الا أبواق من أبواق المستشرقين والمبشرين •

ان هذه الأقلام التى تشكك فى السنة وفى الأحاديث النبوية ليست الا أقلاما مقلدة لا تحمل طابع الاصالة ، ولا طابع التجديد وانما تحمل طابع التقليد ، وطابع الشك والتردد الذى يتنافى مع الايمان ؛ ويتنافى مع الصديقية •

أما ثمرة الاسراء والمعراج ، وأما هدية الاسراء والمعراج :

وأما أعظم المنح الالهية فى الاسراء والمعراج : أعظمها على الاطلاق ؟

أما النعمة العظمى والتجلى الالهى الأكبر فى الاسراء والمعراج فانه : الصلاة •

ولا يتأتى لنا ــ عجزا وقصورا ــ أن نتحدث عن الحمد ، وعن للشكر ، على هذه النعمة التى أنعم الله بها على الأمة الاسلامية فى هذه الليلة المباركة •

فالصلاة هى : الصلة به سبحانه • وهى الكيفية ، وهى الطريقة ، وهى الوسيلة ، وهى اللحظات الجليلة التى تتم فيها الصلة وتتحقق •

انها فترة مناجاة ، فترة انقطاع كامل ، ويجب أن يكون كاملا عن عالم المادة ، وعن عالم الشهوات ، عالم الفتنة : لتخلص النفس الى المنعم حتى تنعم فى رحابه بسعادة الصلة به والقرب منه ! !

Marfat.com

ومن أقام الصلاة فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، ان اقامة الصلاة أو اقامة الدين انما هى اقامة الصلة بالله ، وتحقيق ذلك هو المثل الأعلى ، والغاية العظمى ، والسعادة الكاملة التى يجرى وراءها المؤمنون ليحققوا بها معراجهم نحو الله تعالى ؛ وما من شك فى أن الصلاة يقيمها الانسان ، كما أراد الله ورسوله ، من أنجح الوسائل فى القرب الى الله ، انها البراق الذى يجتاز به المؤمن ، فى سرعة بريعة ، طبقات البعد عن الله سبحانه ، ليتقرب اليه تعالى فينعم فى رحابه .

هذه وغيرها : من عبر الاسراء والمعراج ، ومن توجيهات الله فيهما: هى التى يجب أن ننتبه اليها وأن نأخذ فى تأملها والانسجام معها .

ان الله سبحانه وتعالى : أخذ يتحدث فى سورة النجم عن آفاق عليا ؛ وعن أجواء الهية جديدة ،وعن مشارف من السمو ترتد عنها الأمانى حسرى ذاهلة ، لقد أخذ سبحانه ، يتحدث عن سدرة المنتهى، وعن جنة المأوى ، وعن آياته ، سبحانه ، الكبرى لقد أخذ سبحانه، يتحدث عن :

رتب تسقط الأمانى حسرى .. دونها ما وراءهن وراء .

ثم ... ثم هوى بنا سبحانه ، فى عنف عنيف ، هوى بنا فى سرعة سريعة دون سابق انذار ، ليفتح أعيننا على مهازل ومهاو من الشرك يضل فيها هؤلاء الذين هم : كالأنعام أو أضل سبيلا ، فقال سبحانه ، بعد أن ذكر هذه التجليات الالهية .

أفرأيتم اللات والعزى ؟
ومنـــاة الثـــالثة الأخرى

لقد أرانا سبحانه ، بهذه الكلمات : البشرية المسكينة فى ضلالها الدينى ، وانحرافها الذهنى •

ان كل من يترك هذه الآفاق العليا ويتجاوزها ليتحدث عن : أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أسرى به بجسمه وروحه ، أو بروحه فقط ، أو أسرى به يقظة ، أو مناما : انما هو بذلك ينحدر بنفســه مختارا ، من التجلى الالهى ، ليهوى بها منتكســا الى جو اللات والعزى ، وينحدر بها منتكسا من جو ســدرة المنتهى ، الى الجو المــادى ، ومن مجالات النور السمارى المتلألىء الى ظلمة الجدل ، وزيغ المماراة فى الدين •

فلننصرف عنه ، ولنتركه وما اختار ، مبتعدين عن الجــدل مع المارين ، ولندع الله قائلين :

« ربنا لا تزغ قلوبنا ، بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب » •

Marfat.com

المكتبة العصرية
للطباعة والنشر
تلفون: ٢٣٧٥٤٥ - ص.ب: ٨٢٥٥
بيروت - لبنان